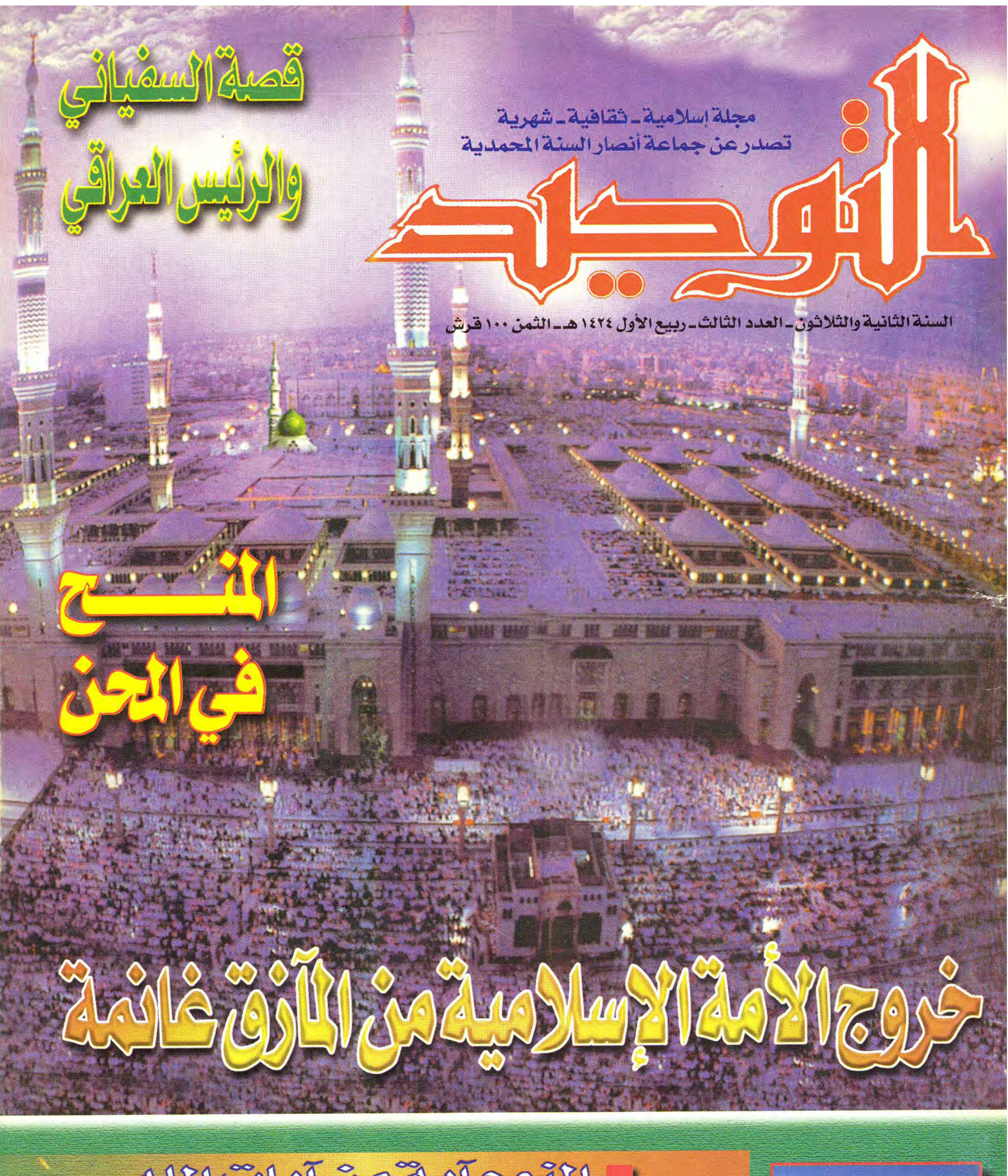

مجلة إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

التوحيد

السنة الثانية والثلاثون - العدد الثالث - ربيع الأول ١٤٢٤ هـ - الثمن ١٠٠ قرش

قصة السفياني والرئيس العراقي

المنح في المحن

خروج الأمة الإسلامية من المآزق غانمة

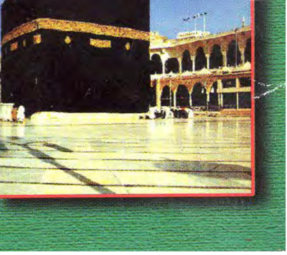

- النوم آية من آيات الله
- الجهاد في سبيل الله
- أخوة الدين وأخوة النسب

التوحيد

• صاحبة الامتياز •

جماعة أنصار السنة المحمدية

المشرف العام

د. جمال المراكبي

اللجنة العلمية

زكريا حسيني

جمال عبد الرحمن

مجدي عرفات

التنفيذ والطباعة

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

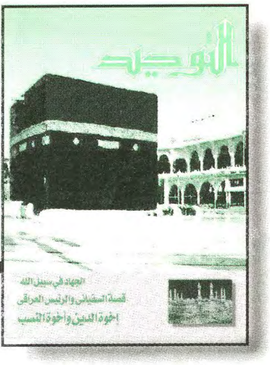

صورة الغلاف

مع القراء

العدل.. والرفق

عن عبد الرحمن بن شماسة قال: أتيت عائشة أسألها عن شيء، فقالت: ممن أنت؟ فقلت: رجل من أهل مصر. فقالت: كيف كان صاحبكم لكم في غزاتكم هذه؟ فقال: ما نقمنا منه شيئًا، إن كان ليموت للرجل منا البعير فيعطيه البعير، والعبد فيعطيه العبد، ويحتاج إلى النفقة فيعطيه النفقة.

فقالت: أما إنه لا يمنعني الذي فعل في محمد بن أبي بكر، أخي، أن أخبرك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بيتي هذا «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به»

د. جمال المراكبي

التحرير / ٨ شارع قوله - عابدين - القاهرة ت: ٢٣٩٣٦٥١٧٠

المركز العام: القاهرة - ٨ شارع قوله - عابدين

رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام
وفروع أنصار السنة المحمدية

في هذا العدد

الافتتاحية : الجهاد في سبيل الله د. جمال المراكبي ٢
كلمة التحرير : رئيس التحرير ٥
التفسير : سورة الجمعة د. عبد العظيم بدوي ٩
باب السنة : أخوة الدين... وإخوة النسب
زكريا حسيني محمد ١٢
باب منبر الحرمين: السلاح المهجور «الدعاء والذكر»
صالح آل طالب ١٥
نظرات على فهم النص متولي البراجيلي ١٩
نظرة عقدية للواقع محمد بن حسين يعقوب ٢١
كيف تعبد الله آلاف السنين صلاح عبد الخالق محمد ٢٥
مفاهيم عقائدية أسامة سليمان ٢٨
الإعلام بسير الأعلام مجدي عرفات ٣٠
العوامل المعينة على الثبات محمد بن أحمد سيد أحمد ٣٣
واحة التوحيد ٣٦
الحوقلة عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ٣٨
باب السيرة: وقفات مع القصة عبد الرزاق السيد عيد ٤٢
الأسرة المسلمة وحسن الجوار أحمد عز الدين محمد ٤٥
أطفال المسلمين جمال عبد الرحمن ٤٧
اقرأ من مكتبة المركز العام علاء خضر ٥٠
أسئلة القراء عن الأحاديث أبو إسحاق الحويني ٥٣
الفتاوى لجنة الفتوى ٥٦
فتاوى ابن عثيمين ٥٩
النوم آية من آيات الله تعالى محمد السقا عيد ٦١
المنح في المحن محمد رزق ساطور ٦٤
فضل أهل البيت عبد المحسن بن حمد العباد البدر ٦٦
تحذير الداعية من القصص الواهية علي حشيش ٦٩

فاكس : ٣٩٣٠٦٦٢ **قسم التوزيع والاشتراكات** **ت : ٣٩١٥٤٥٦**
هاتف : ٣٩١٥٥٧٦ ـ ٣٩١٥٤٥٦

لا إله إلا الله محمد رسول الله

البريد الإلكتروني

المجلة	Mgtawheed@hotmail.com
رئيس التحرير	Gshatem@hotmail.com
التوزيع والاشتراكات	see@islamway.net
موقع المجلة على الإنترنت	www:altawhed.com

ثمن النسخة:

مصر جنيه واحد، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكى، الأردن ٥٠٠ فلس، العراق ٧٥٠ فلساً، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني.

الاشتراك السنوي:
١ - في الداخل ١٥ جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد ـ على مكتب بريد عابدين).
٢ ـ في الخارج ٢٠ دولاراً أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلها.
ترسل القيمة بحوالة بنكية أو شيك . على بنك فيصل الإسلامي ـ فرع القاهرة ـ باسم مجلة التوحيد ـ أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

مطابع الأهرام التجارية ـ قليوب ـ مصر

افتتاحية العدد

الجهاد في سبيل الله

الجهاد هو بذل الجهد واستفراغ الوسع في مدافعة العدو قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج:٧٧، ٧٨].

ففي هاتين الآيتين يتجلى موقع الجهاد في سلوك الأمة المسلمة، الأمة المؤمنة الراكعة الساجدة التي تعبد الله وتفعل الخير وتجاهد في سبيل الله. الأمة الوسط التي تتبوأ منزلة الشهادة على الناس وعلى الأمم يوم القيامة، الأمة التي ترفع لواء الجهاد في سبيل الله فتقوم بأمر الله، وتدعو إلى سبيل الله بكل وسيلة من دعوة ومناصحة وتعليم ووعظ وقتال، الأمة التي تعتصم بالله مولاها ترجو تأييده وتوفيقه ونصره، هو نعم المولى ونعم النصير.

مراتب الجهاد

مراتب الجهاد خمسة:

جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين، وجهاد أرباب الظلم والمنكرات.

فجهاد النفس أربع مراتب: إحداها: أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به.

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه.

الثالثة: أن يجاهدها في الدعوة إليه. وتعليمه من لا يعلمه.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة وأذى الخلق.

فإذا استكمل العبد هذه المراتب صار من الربانيين.

وأما جهاد الشيطان فمرتبتان: احداها جهاده على دفع ما يلقي إلى العبد من الشبهات والشكوك التي تقدح في الإيمان، ولا يتم ذلك إلا بالعلم واليقين.

الثانية: جهاده على دفع ما يلقي من الشهوات، ولا يتم ذلك إلا بالصبر عن المحارم والورع، وهو ثمرة الخوف والخشية من الله.

وأما جهاد الكفار والمنافقين فأربع مراتب، بالقلب واللسان والمال والنفس، وجهاد الكفار أخص باليد، وجهاد المنافقين أخص باللسان.

وأما جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات فباليد مع القدرة، ثم باللسان، فإن عجز جاهد بقلبه «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» [مسلم].

فهذه ثلاث عشرة مرتبة للجهاد.

أولويات للجهاد

ولما كان جهاد أعداء الله في الخارج فرعًا عن جهاد العبد نفسه في ذات الله كما في الحديث «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله» كان جهاد النفس مقدمًا على جهاد العدو وأصلا له، فإنه ما لم يجاهد نفسه أولا لتفعل ما أُمرت به، وتترك ما نهيت عنه ويذللها لطاعة الله. لم يمكنه جهاد عدوه، فكيف يمكنه جهاد عدوه والانتصاف منه، وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له متسلط عليه لم يجاهده ولم يحاربه في الله، بل لا يمكنه الخروج إلى عدوه حتى يجاهد نفسه على

بقلم
د. جمال المراكبي

الخروج.

فهذان عَدُوَّان قد امتُحن العبد بجهادهما. وبينهما عدو ثالث لا يمكنه جهادهما إلا بجهاده، وهو واقف بينهما يثبط العبد عن جهادهما ويخذله، ولا يزال يخيل له ما في جهادهما من المشاق وترك حظوظ النفس وفوت اللذات، ولا يمكنه أن يجاهدهما إلا بجهاده وهو الشيطان الرجيم ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر:٦].

قال رسول الله ﷺ : «إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال له: أتسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك؟ قال: فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: أتهاجر وتذر أرضك وسماءك وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول؟ قال: فعصاه فهاجر، قال: ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له: هو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال، قال: فعصاه فجاهد. قال رسول الله ﷺ : فمن فعل ذلك منهم فمات كان حقًا على الله أن يدخله الجنة، أو قُتل كان حقًا على الله عز وجل أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقًا على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته دابته كان حقًا على الله أن يدخله الجنة».

[رواه النسائي وأحمد بسند صحيح]

فهذه من الأعداء ثلاثة، أُمر العبد بمجاهدتها، وسلطت عليه امتحانًا من الله له، فأعطى الله عباده مددًا وعدة وأعوانا وسلاحًا لهذا الجهاد، وأمرهم أن يأخذوا بأسباب النصر والظفر ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال:٦٠]، وأعطى أعداءه مددًا وعدة وأعوانًا وسلاحًا وابتلى المؤمنين بالكافرين، وجعل بعضهم لبعض فتنة ليبلوا أخبارهم ﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ [محمد:٤]، ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد:٣١]، فهيأ لعباده الأسباب وأمدهم بمدد من عنده وجند من جنده ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ ﴾ [الأنفال:١٢].

أسباب النصر وأسباب الهزيمة

وأخبرهم أنهم إن امتثلوا ما أمرهم به لا يزالون منصورين على عدوه وعدوهم وأنه إن سلطه عليهم فلتركهم بعض ما أمروا به، ولمعصيتهم له، ثم لم يؤيسهم ولم يقنطهم، بل أمرهم أن يستقبلوا أمرهم ويداووا جراحهم ويعودوا إلى مناهضة عدوهم، فينصرهم عليهم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ * أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [الحج:٣٨-٤١].

وهكذا أوجب الله الجهاد على أوليائه فبعد أن كانوا ممنوعين من قتال الكفار ومأمورين بالصبر. أذن الله لهم في القتال ووعدهم بالنصر.

عن ابن عباس أن عبد الرحمن بن عوف وأصحابًا له أتوا النبي ﷺ بمكة فقالوا: يا رسول الله إنا كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة فقال، إني أُمرتُ بالعفو فلا تقاتلوا، فلما حولنا الله إلي المدينة أمرنا بالقتال» [رواه النسائي بسند جيد].

التربية والإعداد قبل الجهاد

عن خباب قال: أتينا رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة فشكونا إليه فقلنا: ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا؟ فجلس محمرا وجهه فقال: قد كان من

جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين، وجهاد أرباب الظلم والمنكرات.

قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض ثم يؤتى بالمنشار فيجعل على رأسه فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دين،ه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب ما بين صنعاء وحضرموت ما يخاف إلا الله تعالى والذئب على غنمه ولكنكم تعجلون»(١).

ومن الجهاد قيام الرجل بتربية أهله وولده وتعليمهم أمور دينهم وحثهم على حسن الخلق وطاعة الله وطاعة رسوله وترك المعاصي، وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، وتأديب من يخرج عن هذا النهج والصبر على ذلك وبذل الجهد فيه، فلا شك أنه من أعظم أنواع الجهاد، وثمرته الفوز بالجنة والنجاة من النار قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم:٦].

حكم الجهاد

الجهاد فرض في الجملة بحسب الوسع والطاقة، فأما جهاد النفس في ذات الله تعالى، وجهاد الشيطان فهو فرض عين لا ينوب فيه أحد عن أحد، وأما جهاد الكفار والمنافقين فهو فرض كفاية قد يكتفي فيه ببعض الأمة إذا حصل منهم مقصود الجهاد قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة:١٢٢]، وقال: ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٩٥].

وفي الصحيح «من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقًا على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أو مات في أرضه التي ولد فيها». قالوا: أفلا نبشر الناس؟ فقال: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة». [رواه البخاري]

وقد كان رسول الله ﷺ يخرج بنفسه للجهاد، ويبعث غيره أحيانا ويقول: «والذي نفسي بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه، ما تخلفت عن سرية تغدو في سبيل الله» [رواه البخاري].

فهذا يدل على أن القاعدين غير آثمين طالما تحقق مقصود الجهاد بغيرهم وقد وعد الله الطائفتين الحسنى، وفضل المجاهدين على القاعدين أجرًا عظيمًا.

متى يصبح الجهاد فرض عين؟

ويتعين الجهاد في الحالات الآتية:

١ - إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان حرم على من حضر الانصراف وتعين عليه القتال لقول الله تعالى: ﴿ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ﴾ [الأنفال:٤٥].

٢ - إذا هجم العدو على قوم، أو نزل بلدًا للمسلمين، وجب على هؤلاء المسلمين أن يدافعوا، ووجب على من يليهم من المسلمين أن يعينهم ويدفع عنهم وينصرهم بما يستطيع.

٣ - إذا عين الإمام قومًا واستنفرهم لزمهم النفير معه، لقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ ﴾ [التوبة:٣٨]، ولقول النبي ﷺ: «وإذا استنفرتم فانفروا».

جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات باليد مع القدرة، ثم باللسان، فإن عجز جاهد بقلبه

---

(١) [سنن أبي داود ج ٣ ص ٤٧ صحيح ابن حبان (٢٨٩٧) وصححه الألباني.

كلمة التحرير

بقلم

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

خروج الأمة الإسلامية غانمة من المآزق!!

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين وبعد:

فحين تقف القافلة حائرة على مفترق الطرق تعلم أن مصيرها مرتبط بمسيرتها، ونجاتها رهنٌ بصحة اختيارها، عليها حينئذ أن تبذل غاية جهدها في التحري والنظر، لتضع أقدامها على الطريق الصحيح، فتصل إلى غايتها ولو طال المسير.

إن أمة الإسلام وهي تعيش هذه الأيام مواقف امتحان، بل مواقف صراع وابتلاء، لعلها تقف موقف صدق، ومقام محاسبة، تتفحص مسيرتها وتنظر إلى هدفها.

إن الأمة حين تحل عليها محنُ وتنزل بها نوازل تبدو عليها انعكاسات، وتظهر فيها تصرُّفات، تدل على مسارها، وتشير إلى مواقع أقدامها، ماذا رسمت لنفسها؟ أو ماذا رُسم لها؟؟

وفي النوازل والأزمات يتعاظم الخطر على الهوية والثوابت، وتحتاج سفينة الأمة إلى قَوَّاد مهرة يحسنون قيادتها إلى شاطئ السلامة والنجاة وساحل الأمان؛ حتى تُحفَظ للأمة حقوقها العقدية والأمنيَّة في تحقيق كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة عليها؛ لأنها صمام الأمان أمام العواصف الهوجاء التي تمر بها أمّتنا، وتكاد لخطورتها أن تنسيها كل الأزمات التي مرت عليها في تاريخها المعاصر!!

أعداء الأمس هم أعداء اليوم

لقد رأت الأمة في تاريخها الطويل من مواقف النصر والهزيمة، ما تراه كل أمَّة، ولكن الخاتمة الثابتة والعاقبة الحسنة للمتقين إن شاء الله، ولو أعدنا النظر في التاريخ لوجدناه ناطقًا بهذا بأبلغ لسان وأوضح بيان.

ألم يرمنا الشّرق بدواهيه، فَسَاقَ إلينا جيوش التَّتر كالسيل الأطم، يَحُطُّ على بلدان الإسلام العامرة، كما يحط الجرادُ على الحقول الزّاهرة، حتى أبادت هذه الجيوش الممالك، وبلغ هولاكو عرش الخليفة ببغداد، فذبح الخليفة، وهدَّ العرش، وقوض الدولة، فإذا بغداد العظيمة حاضرة الدنيا وعاصمة الإسلام دمارٌ بعد عمار، وخراب وأطلال، ثم ساحوا في الأرض لا يرّدهم شيء، حتى حَسِبَ الضُعَفَاءْ أنها نهاية الإسلام، فنُعِي الإسلام على المنابر، وَرُثِي المسلمون في الدفاتر حتى قال مؤرخ الإسلام ابن الأثير رحمه الله: «لقد بقيتُ عدَّة سنين معرضًا عن ذكر تلك الحادثة استعظامًا لها، كارهًا لذكرها، فمن الذي يُسهل عليه أن يكتُب نعي الإسلام والمسلمين؟! ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟! فيا ليت أمي لم تلدني، يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا، هي الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي عقمت الليالي والأيام عن مثلها، عمَّت الخلائق وخصَّت المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم منذ خلق الله تعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقًا، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها، ولا ما لا يدانيها» [الكامل في التاريخ ١٠/٣٩٩]

ولكن الذي لم يدركه ابن الأثير ولم يُلْحِقه بمقولته تلك أن الإسلام طوى التتر تحت جناحه وظللهم برايته، وانطووا تحت لوائه، فانطلقوا فاتحين لبلاد الهند، فألحقوها وأهلها بالمسلمين وصار منهم الملوك العادلون والقادة الفاتحون، وغدوا عمق أمتنا في المشرق، ونسيت المصيبة حتى لا يدري أكثر الناس اليوم ما خبر التتر!!

فكم لهذه الأمة من وثبات بعد كبوات وإغارات بعد غفوات، كيف لا؟! وهي الأمة

في النوازل والأزمات يتعاظم الخطر على الهوية والثوابت، وتحتاج سفينة الأمة إلى قوّاد مهرة يحسنون قيادتها إلى شاطئ السلامة والنجاة وساحل الأمان

الأسباب والنتائج من صنع الله وتقديره، والوسائل والغايات من خلقه وتدبيره، وإذا علمنا ذلك كان لزامًا علينا الفرار إلى الله والاعتصام بحبله وطلب النجاة منه.

من رحمة الله جل وعلا بعباده أن منحهم شرعة غراء تحكمهم في جميع الأماكن والأوقات تنير لهم الطريق في السراء والضراء، وتأخذ بأيديهم أيام المحن والشدائد والأزمات

المرحومة المنصورة التي لا يُدرى خيرها في أولها أو في آخرها، كما نطق بذلك المعصوم [أخرجه أحمد «٣/١٣٠، ١٤٣» والترمذي في الأمثال «٢٨٦٩» من حديث أنس رضي الله عنه. فخرج في السلسلة الصحيحة ٢٢٨٦]

فهي أمة تمرض ولا تموت، وتجرح ولا تذبح، وهي أمّة الاستعلاء رغم الجراح قال تعالى: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩].

لا يحدث شيء إلا بعلم الله وتقديره!!

إن ما يجري للأمة من أحداث عضال تنطوي على أمور قد تكرهها النفوس، وأحداث تضيق بها القلوب سيكون مآلها الأخير - بإذن الله - النصر والعزة للمسلمين، والتمكين لعباد الله المؤمنين، وانقشاع أسباب الذلة والهوان.

إن مما يجب اعتقاده وتذكير النفس به خصوصًا في أوقات الشدائد والمحن أنه لا يقع في هذا الكون حادث صغير ولا كبير إلا بعلم وتقدير اللطيف الخبير، وأنه لا يخرج عن قدر الله وقدرته شيء في السموات ولا في الأرض، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءُ اللَّهُ لاَنْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد:٤].

فالأسباب والنتائج من صنعه وتقديره، والوسائل والغايات من خلقه وتدبيره، وإذا علمنا ذلك كان لزامًا علينا الفرار إلى الله والاعتصام بحبله وطلب النجاة منه، والنصر من عنده فهو سبحانه الذي يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، وقد جعل في خلقه نواميس وسنن ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾ [فاطر:٤٣].

ومن سننه سبحانه أن يبتلي عباده ويمحصهم ثم يجعل العاقبة لهم ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة:٢١٤]، ويقول تعالى: ﴿الم(١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت:١-٣].

غصّة في قلب كل مسلم

إن سقوط بغداد بالأمس القريب مازال يثير علامات استفهام، ويفتح أبواب الحيرة والشك. ولكن الذي لا يقبل الشك أننا كنا ضحية لعملية تضليل سياسي وإعلامي مارسته قوات الغزو الأنجلوأمريكية ببراعة نادرة، صورت العراق على أنه يمثل خطرًا على العالم كله بما فيه أمريكا وبالغت عن عمد وقصد في حجم قواته، وبدأت بشن حرب إبادة من خلال مئات الآلاف من الطلعات الجوية التي استخدمت فيها كل أنواع الأسلحة المحرمة والغير محرمة، المعروفة وغير المعروفة في حرب إبادة صليبية تدمر كل شيء، تقتلع الأخضر واليابس.

ترويض النفوس على تحمل الابتلاء

ولما كانت الدنيا دار اختبار وابتلاء، وممرًا إلى الآخرة، دار الحساب والجزاء، شاء المولى جل وعلا أن يتقلب فيها الناس بين السراء والضراء، والشدة والرخاء، وأن يتعرضوا للمصائب والمحن، ولا تخلوا حياتهم من نوائب وأزمات وفتن..

ومن رحمة الله جل وعلا بعباده أن منحهم شرعة غراء تحكمهم في جميع الأماكن والأوقات تنير لهم الطريق في السراء والضراء، وتأخذ بأيديهم أيام المحن والشدائد والأزمات، وإن ما يقع على الأمة من بلايا ومحن ومصائب وفتن لهي حلقة في سلسلة التمحيص، وطريق إلى التمكين، فلا يجوز أن تكون هذه الأحداث سبيلا إلى اليأس والإحباط، وإن تداعت علينا الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها، بل إنّه بقدر ما فيها من شدة وضيق، فإن في طيّاتها خير كثير، وفي

ثناياها لله حكمة وتدبير ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦]، ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء:١٩].

هدي النبي ﷺ في الشدائد

ولابد وأن نأخذ العبرة والعظة من هديه ﷺ عندما تقع النكبات وتحل الشدائد بالأمة، فقد كان هديه التبشير والتشجيع وضرب المثل بالسابقين إشارة إلى سنة الله تعالى في خلقه، يقول خباب بن الأرت رضي الله عنه: شكونا إلى رسول الله وهو متوسّدٌ بردة له في ظل الكعبة فقلنا له: ألا تستنصر لنا؟! ألا تدعو لنا؟! فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، فيجاءُ بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يَصُدُّه ذلك عن دينه. والله، ليتمن الله هذا الأمر حتى يأتي الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون» [رواه البخاري في المناقب «٣٦١٢»].

والنبي ﷺ بين لنا أن المستقبل لهذا الدين، وأن العاقبة للإسلام والمسلمين، ولا يجوز إطلاقًا أن نشك في ذلك. ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٣]، ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات:١٧١-١٧٣].

وعنه ﷺ أنه قال: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزًا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل الله به الكفر» [رواه أحمد بإسناد صحيح ١٠٣/٤ والبيهقي ١٨١/٩].

إن يقيننا بالنصر على أعداء الإسلام، وثقتنا بوعد الله وظهور البشائر بذلك لا يعني القعود والاتكال، كما لا يعني غض الطرف عن الخلل والخطأ والنقص والتقصير الموجود في الأمة بل الواجب مع إذكاء جانب الثقة بوعد الله العودة الصادقة إلى الله سبحانه، فما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة.

وفي القريب العاجل سيرينا الله سبحانه تتار أمريكا وبريطانيا يخرجون من أرض الإسلام... يجرون أذيالهم منكسرين.. مهانين.. مدحورين، ولينصرن الله من ينصره، إن الله لقوي عزيز وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إنا لله وإنا إليه راجعون

توفيت والدة الأخ الزميل الأستاذ/ السيد عبد الفتاح مدير إدارة التسويق بمطابع الأهرام بقليوب. رحمها الله رحمة واسعة.

كما توفى والد الأخ الزميل/ حسن محمد الجندي بجريدة الجمهورية رحمه الله رحمة واسعة.

وأسرة تحرير مجلة التوحيد تدعوا الله العلي القدير أن يتجاوز عن سيئاتهما ويسكنهما فسيح الجنة.

•• باب التفسير ••

الحلقة الأخيرة

سورة الجمعة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾

[الجمعة: ٩- ١١].

إعداد

د / عبد العظيم بدوي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد:

فقد تحدثنا في الحلقة الماضية عن هدي رسولنا الأمين ﷺ في صلاة الجمعة، واليوم بحول الله وقوته نستكمل معكم في الحلقة الأخيرة من تفسير سورة الجمعة هذا الموضوع مستعينين بالله فنقول:

الإنصات أثناء الخطبة

كان ﷺ يقول: «إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة والإمام يخطب أنصت فقد لغوت». وكان يقول: «ومن مسّ الحصى فقد لغى».

فالواجب على من شهد الجمعة أن يُحسن الاستماع وأن يُنصتَ إلى إمامه إذا خطب، فقد قيل إن الذكر المذكور في قوله تعالى: ﴿ فاسعوا إلى ذكر الله ﴾ هو الخطبة. وقد مدح الله تعالى

حُسْنَ الاستماع وأمر نبيّه ﷺ أن يبشر أهله فقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر:١٧، ١٨]، وذمّ الذين لا يحسنون الاستماع فقال: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُورًا﴾ [الإسراء:٤٧]. وقد بين السّلف الصالح كيفية حسن الاستماع الذي أُمروا به، فقال وهب بن منبّه: من أدب الاستماع سكون الجوارح، وغضّ البصر، والإصغاء بالسمع، وحضور العقل، والعزم على العمل، وذلك هو الاستماع كما يحب الله تعالى، وهو أن يكف العبد جوارحه، ولا يشغلها فيشتغل قلبه عما يسمع، ويغض طرْفه، فلا يلهو قلبه بما يرى، ويُحضر عقله، فلا يحدّث نفسه بشيء سوى ما يستمع إليه، ويعزم على أن يفهم فيعمل بما يفهم. وقال سفيان بن عُيينة: أول العلم الاستماع ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر» [تفسير القرطبي ١٧٦/١١].

ثم عليه بعد الصلاة أن يسأل نفسه عما فهم من هذه الخطبة وعمّا سمع فيها من أوامر وزواجر، وليعلم أن كل ما استمع إليه من آيات فيها أوامر سَيُسْأَلُ عنها يوم القيامة: هل ائتمرت؟ وعن الزواجر: هل ازدجرت؟ فليجتهد في العمل بما استمع إليه في تلك الخطبة، فإن عمله به دليل انتفاعه، وانتفاعه دليل إيمانه بالله وخشيته له، فإن الله تعالى قال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥]، وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (٩) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ [الأعلى:٩، ١٠]، وقد أمر الله تعالى نبيّه ﷺ أن يبشر المؤمنين الذين يخشون ربهم، فقال تعالى ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٢٢٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس:١١].

وهذا الأجر الكريم هو الجنة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة:٧، ٨].

فإذا أحسن من حضر الجمعة الاستماع للخطبة حتى يفرغ منها، ثم صلّى مع إمامه، فيستحب له أن يأتي بالأذكار المشروعة عقب الصلاة، وهي بإيجاز:

أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله، اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، اللهم أعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، ربّ قني عذابك يومَ تبعث عبادك. لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبدُ إلا إيّاه، له النعمة وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون. لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجدّ منك الجد.

ثم يقرأ آية الكرسي، والإخلاص والمعوذتين، ثم

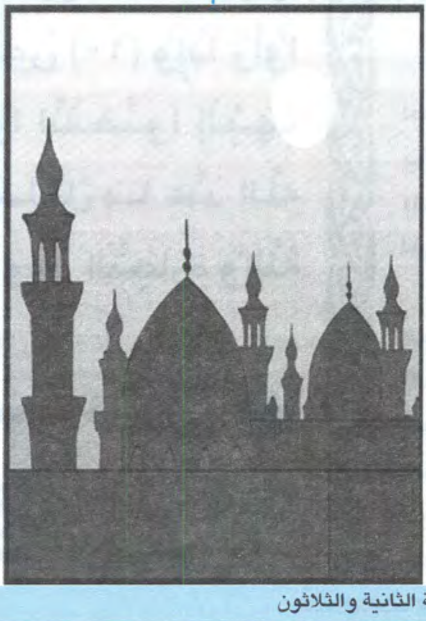

يقول: سبحان الله، ثلاثا وثلاثين، والحمد لله، ثلاثا وثلاثين، والله أكبر، مثل ذلك، ثم يقول تمام المائة: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، ثم يقوم فيصلي سنة الجمعة، لقوله ﷺ: «إذا صلّى أحدكم الجمعة فليصلّ بعدها أربعا». وإن صلاها في البيت كان أفضل، لقوله ﷺ: «أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة».

(فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله) فإذا أراد الخروج من المسجد قدّم رِجْله اليسرى وقال: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك». وكان عراك بن مالك رضي الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال: اللهم إني أجبْت دعوتك، وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني، فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين.

عدم العمل يوم الجمعة لم يكن من هدي السلف

وفي الآية إشارة إلى أن العطلة يوم الجمعة وعدم العمل لم يكن من هدي السلف وليس في النصوص ما يشير إليه، بل الآية تشير إلى أن الصحابة الذين خوطبوا بها كانوا يكونون في أسواقهم قبل الصلاة، ولذلك كان الأمر: ﴿إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع﴾ ثم الإذن لهم فيه بعد الصلاة ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ ولما كانت الأسواق شرّ البقاع لغفلة أهلها عن ذكر الله أمر الله المؤمنين بذكر الله ﴿واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ «أي اذكروا الله حالَ بيعكم وشرائكم وأخذِكم وإعطائكم، اذكروا الله ذكرًا كثيرا، ولا تشغلكم الدنيا عن الذي ينفعكم في الدار الآخرة، ولهذا جاء في الحديث: «من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حيٌّ لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة، وبنى له بيتًا في الجنة». قال العلماء: لا يكون العبد من الذاكرين كثيرا حتى يذكر الله قائمًا وقاعدًا وعلى جنب، وذلك إنما يكون بالمحافظة على الأذكار المطلقة والمقيدة، كالمحافظة على أذكار الصباح والمساء، وأذكار النوم واليقظة، والذكر عند الطعام والشراب، والدخول والخروج، ونحو ذلك، وقوله تعالى: ﴿وإذا رأوا تجارةً أو لهوًا انفضوا إليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة، والله خير الرازقين﴾ هذا عتاب من الله لأصحاب رسوله على ما كان منهم من الانصراف عن رسول الله ﷺ إلى العير التي كانت قدمت المدينة، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: بينا النبي ﷺ قائم يوم الجمعة، إذ قدمت عيرٌ إلى المدينة فابتدرها أصحابُ رسول الله ﷺ حتى لم يبق معه إلا اثنا عشر رجلا، فيهم أبو بكر وعمر. قال: ونزلت هذه الآية: ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا﴾ إليها، وفي قوله تعالى ﴿وتركوك قائما﴾ دليل على أن الإمام يخطب يوم الجمعة قائما، كما كان هدي النبي ﷺ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب السنة

أخوّة الدين... وأُخوَّة النسب

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم **القيامة**». [البخاري: ٢٤٤٢، ٦٩٥١، ومسلم: ٦٥٧٨، والترمذي: ١٤٢٦].

إعداد/ زكريا حسيني

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وآله وصحبه وبعد:

أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه». [ح: ٦٨٥٣]، وكذا أبو داود والترمذي وابن ماجه مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ، كما أخرجه أحمد في المسند بأرقام (٧٤٢١، ١٠٤٤، ١٠٦٢٤).

شرح الحديث

قوله ﷺ: «المسلم أخو المسلم»: أي أخوه في الإسلام، ولا شك أن أخوة الدين أقوى وأوثق من أخوة النسب، فإن اجتمعت أخوة الدين وأخوة النسب كانت أقوى وأوثق من إحداهما منفردة، قال الحافظ في الفتح: ويشترك في ذلك الحر والعبد، والبالغ والمميز.

وقوله: «لا يظلمه» هذا خبر بمعنى الأمر: أي أن النبي ﷺ يأمر المسلم بكف ظلمه عن أخيه المسلم، فإن ظلم المسلم حرام، وإن كان الظلم كله محرمًا على عمومه كما في قوله ﷺ: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة». رواه مسلم. إلا أن ظلم المسلم لأخيه المسلم أعظم حرمة.

وأما قوله: «ولا يسلمه» فمعناه: لا يتركه مع من يؤذيه ولا فيما يؤذيه، بل ينصره ويدفع عنه، وهذا أخص من ترك الظلم، ودرجته أرفع. قال ابن حجر رحمه الله: وقد يكون ذلك واجبًا، وقد يكون مندوبًا بحسب اختلاف الأحوال، وزاد الطبراني من طريق أخرى عن سالم أي ابن عبد الله بن عمر عن أبيه: «ولا يسلمه من مصيبة نزلت به». ولمسلم في حديث أبي هريرة رضي

الله عنه: «ولا يخذله، ولا يحقره»، وفيه: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم». قال النووي: «قال العلماء: الخذل ترك الإعانة والنصر، ومعناه إذا استعان به في دفع ظالم ونحوه لزمه إعانته إذا أمكنه ولم يكن عنده عذر شرعي، وأما معنى: لا يحقره: أي لا يحتقره فلا ينكر عليه ولا يستصغره ويستقله، قال القاضي: ورواه بعضهم: «ولا يخفره» بالفاء أي: لا يغدر بعهده، ولا ينقض أمانه، قال: والصواب هو الأول وهو الموجود في غير كتاب مسلم بغير خلاف».

وروي: «ولا يحتقره» وهذا يرد الرواية الثانية.

قوله: «ومن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته». قال الحافظ: في حديث أبي هريرة عند مسلم: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه». أي أن المسلم لا يزال معانًا من الله تعالى على أمر دينه ودنياه إذا أعان أخاه المسلم في أمر من أمور الدين أو الدنيا، فقضى له حاجته أو عاونه في تيسير أمر عسر عليه.

قوله: «ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة». معنى: «فرَّجَ»: أزال، وهو معنى «نَفَّسَ» في رواية مسلم، والكربة: الغمة، والكرب هو الغم الذي يأخذ النفس، وكرُبات: جمع كربة. قال ابن حجر: «كرُبات» بضم الراء، ويجوز فتح الراء وسكونها.

فالمسلم إذا وقع في كربة أو شدة فإنه يحتاج إلى مزيد العون من أخيه المسلم حتى تزول شدته، وتذهب كربته، ويخفف الله عنه بمعاونة أخيه، وحينئذ يأجر الله تعالى المسلم الذي يعاون أخاه ويثيبه في الدنيا والآخرة.

وقوله: «ومن ستر مسلمًا» أي: رآه على قبيح فلم يظهره للناس، وليس في هذا ما يقتضي ترك الإنكار عليه فيما بينه وبينه، قال ابن حجر رحمه الله: ويحمل الأمر في جواز الشهادة عليه بذلك على ما إذا أنكر عليه ونصحه فلم ينته عن قبيح فعله ثم جاهر به، كما أنه مأمور بأن يستتر إذا وقع منه شيء، فلو توجه إلى الحاكم وأقر لم يمتنع ذلك، والذي يظهر أن الستر محله في معصية قد انقضت، والإنكار في معصية قد حصل التلبس بها فيجب الإنكار عليه وإلا رفعه إلى الحاكم، وليس هذا من الغيبة المحرمة، بل النصيحة الواجبة، وفيه إشارة إلى ترك الغيبة؛ لأن من أظهر مساوئ أخيه لم يستره.

قوله: «ستره الله يوم القيامة»: في حديث أبي هريرة عند الترمذي «ستره الله في الدنيا والآخرة».

وإن المسلم إذا ستر على أخيه المسلم ولم يفضحه، ولم يكشف عيوبه أمام الناس فإن الله عز وجل يعامله بجزاء من جنس عمله فيستر عليه في الدنيا بأن لا يفضحه ولا يكشف له سترًا، وفي الآخرة يستر عليه ذنوبه وخطاياه، بل يغفرها له كما سترها عليه في الدنيا.

ولقد ورد في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة بسياق أطول من هذا قوله ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ههنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه».

وأنت ترى أخي المسلم في هذه الأحاديث وغيرها من الأحاديث التي تحث المسلمين على التآلف والتعاون على البر والتقوى، كما تحثهم على حسن الخلق والتعاشر بالمعروف، فنهى ﷺ عن التحاسد أي لا يحسد بعضهم بعضًا، فإن التحاسد من سوء الخلق، وإرادة الشر بالمسلم، فإنه تمني زوال نعمة غيره من المسلمين، ونهى أيضًا عن التناجش وهو في البيع عبارة عن زيادة شخص في ثمن السلعة ولا يرغب في شرائها إنما ليغر غيره في شرائها، ولا شك أن هذا فيه إضرار بالمسلم، ونقل النووي عن القاضي عياض قوله: يحتمل أن المراد بالتناجش هنا ذم بعضهم بعضًا. كما

نهى ﷺ عن التباغض وهو تبادل البغض فيما بينهم، وهو ضد المأمور به من التحاب الذي يجب أن يكون بين المسلم وأخيه المسلم، فالمسلم يجب أن يحب المسلم لا يحبه إلا لله، فإذا أبغضه فإنه لا يبغضه إلا لله أيضًا، وذلك إذا كان فيه ما يخالف شرع الله تعالى من معصية أو بعد عن دين الله، ومع ذلك فإنه لا يبغضه وإنما يبغض فيه هذه الخصال الذميمة، وكذلك نهى النبي ﷺ عن التدابر، وهو التقاطع، أي أن المسلم يلقى أخاه المسلم فيتفقد أحواله ويتعرف أخباره، يسره ما يسره، ويسيئه ما يسيئه، يفرح لفرحه ويحزن لحزنه، ويتألم لألمه، فإن ولى بعضهم ظهره لبعض فقد وقع التدابر والتقاطع، وحينئذ لا يجد المسلم على الخير أعوانًا من إخوانه، ولا عن الشر زاجرًا ولا ناصحًا، فيتيه في الضلال، ويزداد في الخسران، ثم أمر ﷺ المسلمين أن يكونوا فيما بينهم إخوانًا وعلى الخير أعوانًا، يشعر بعضهم بشعور بعض، تجمعهم الجُمَعُ والجماعات فيتفقد بعضهم بعضًا ويسأل بعضهم عن أنباء بعض، يسد فاقته إن احتاج، ويرد غيبته إن اغتيب في حضرته، ولا يرضى له إلا ما يرضى لنفسه ويكره له ما يكره أن يعامل به.

ثم يبين النبي ﷺ البيان الشامل التام الكامل الشافي الكافي في قوله صلوات الله وسلامه عليه: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» أي: أن الله تعالى حرم على المسلم أن يقتل أخاه المسلم بغير حق (من قصاص أو رجم أو قتل ردة)، فلا يحل دمه بحال من الأحوال ما دام بغير حق، وكذلك حرم ماله، فلا يحل ماله إلا بطيب نفس منه، فمال المسلم محرم سرقته أو نهبه أو غصبه أو اختلاسه، أو غَلُّه، أو الاعتداء عليه بأي نوع من الغش أو الاقتطاع بيمين فاجرة أو غير ذلك من أنواع الاستيلاء على المال بغير وجه حق، كما حرم الله تعالى عرض المسلم فلا يجوز انتهاك عرضه بأي نوع من الانتهاك، سواء أكان زنى أم كان من مقدمات الزنى، كالنظرة وما يليها من أعمال محرمة.

قال ابن حجر رحمه الله تعالى في نهاية شرحه لحديث ابن عمر في البخاري: وفي الحديث حض على التعاون وحسن التعاشر والألفة، وفيه أن المجازاة تقع من جنس الطاعات، وفيه أيضًا أن من حلف أن فلانًا أخوه، وأراد أخوة الإسلام لم يحنث.

ولقد جاء في حديث أبي هريرة عند مسلم والذي ذكرناه عقب حديث ابن عمر عند البخاري: «ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطَّأ به عمله لم يسرع به نَسَبُه».

وفي هذا حث على طلب العلم والرحلة في طلبه وبيان أن طالب العلم ابتغاء وجه الله قد وضع قدمه في طريقه إلى الجنة، إذ إن العلم يقود صاحبه إلى الجنة لأنه به يعرف الله عز وجل في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته، فيعبده عبادة من يعرف معبوده ومألوهه، كما أنه بالعلم يعرف ما أوجب الله عليه من فرائض وما حرم عليه من المعاصي والآثام، ويعلم حدود الله تعالى فلا يتعداها.

كما أن في الحديث بيان فضل تلاوة القرآن الكريم وتدارسه والاجتماع عليه تعلمًا وتعليمًا وتدبرًا وفهمًا، ومن ثم العمل به والتحاكم إليه، فهو دستور المسلمين وهدايتهم إلى أقوم طريق من قال به صدق، ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا للحياة بالإسلام والعيش في ظل شريعة الله عزَّ وجلَّ، والاهتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب: منبر الحرمين

السلاح المهجور

الدعاء والذكر

للشيخ / صالح آل طالب

إمام وخطيب المسجد الحرام

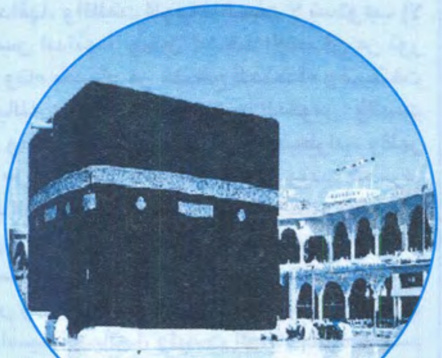

أيّها المسلمون: اتَّقوا الله تعالى وراقِبوه، وأطيعوا أمرَه ولا تَعْصوه، فإن المعاصي والذنوبَ جِراحات ورُبَّ جرحٍ وقع في مقتل.

واعلم - غفر الله لي ولك - أنَّ لك ربًا أنتَ مُلاقيه، وبيتًا أنت ساكنُه، فاسترضِ ربَّك قبل لقائِه واعمُر بيتَك قبلَ انتقالِك إليه.

وبعد : أمَّةَ الإسلام، أمَّةَ الحِكمة والقرآن، أمَّةَ الهدي الإلهي والسُّنَن المحمَّدي، أمَّتِي، لا زلنا نتراءَى صلاحَك فنجدُك بعدُ لم ترشُدِي، ويمُدّ إليكِ محبّوكِ حبالَ النجاةِ فلا تتمسّكين، ويُضيء لكِ ناصحوك الشموعَ فلا تُبصِرين ولا تتبصَّرين، تُمسِينَ وتُصبِحِينَ على فواجعَ وحروبٍ ومواجع وكروبٍ ثمَّ لا تتوبِين ولا تتذكَّرين.

أيّها المسلمون، أيّها الذين هم بربّهم يؤمنون ويثِقون، إنّ ما حلَّ ويحِلّ بالأمّة من رزايا وبلايا لهي سياطٌ تسوقُها إلى حظيرة الإيمان والتوحيد، وتُسلِمهم إلى التعلّق بالعزيز الحميد، وتدفَع بهم إلى التّوبة وخوفِ يومِ الوعيد، ﴿ أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [التوبة:١٢٦]، ولكنّها الغفلة.

لقد أثّرتِ المادّة على كثيرٍ من النفوس، وطغت على حياتِها، وضاق أفقُها فأصبَحت لا تُبصِر إلا ما تَرى أحداقُها، وأظلمَت قلوبٌ فأضحَت لا تستوعِب إلا مَا يلامِس أبدانَها. وحين ابتعَد الإنسان عن نورِ الوحي وتاه بصرُه عن التطلّع للسّمَاء وضعُفتِ الصلةُ بالله عندَ ذلك استوحَشتِ النفوس، وقستِ القلوب، وطغَت موجاتٌ من الهلَع والاضطِراب، وظهَر الخوفُ من المستقبَل وعلى المستقبَل، وبدتِ الحَيرَة، وما ذاك إلاّ لذهولِهم عن سببِ حياة القلوبِ وصلاح النفوس، ونسُوا أنّ فوق تدبيرهم لله تدبيرًا، وله من وراءِ أسبابهم أمرًا وتأثيرًا، والله تعالى خالقُ النفوس وعالمٌ بأسباب زكائِها، ومبدعُ القلوبِ وشارعٌ أسبابَ حياتِها، وليستِ الحياة بقوّة الجسم أو التزوّد من عرَض الدنيا، بل الحياة حياةُ القلوب، ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ [الأنعام:١٢٢].

لذا كان الإيمانُ بالله سببَ الأمنِ والأمان، الإيمان يجعل الخوفَ من الله وحدَه والأمَان ممّا سواه، ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب:٣٩]. ولهذا أيضاً كانتِ الصدور الجوفاءُ من الإيمان البعيدة من الله مليئةً بالخوفِ والهلَع والجزَع والاضطراب والحَيرة.

صورة حزينة

أيّها المسلمون، وإذا امتلأ القلبُ إيمانًا عرَف صاحبُه ملجَأه ودواءَه ومفزعَه وشِفاءه. إنَّ الحياة قد طُبعَت على كدَر، وقلّما يسلَم الإنسان من خطَر، مصائبُ وأمراض، حوادثُ وأعرَاض، أحزَان وحروبٌ وفتَن، ظلمٌ وبغي، همُوم وغموم، فقرٌ وحَيرة، أسبابٌ تقصم الظهور وتنحتِ الصدّور، إلا أنَّ الله تعالى لطيفٌ بعباده رحيم بخلقِه، فتح لهم بابًا يتنفّسون منه الرّحمة، ويزيلون به كدَر الحياة، وتنزل به على قلوبِهم السكينةُ والطمأنينة، ألا وهو باب الدّعاء.

دعاءُ اللهِ وسؤاله والتضرعُ إليه والانطراح بين يدَيه وتفويض الأمر إليه أمانُ الخائفين وملجَأ المضطرِّين وسلوة المناجين، من الذي لاذَ بجنابه فما عزَّ؟! ومن الذي فوّضَ أمرَه إليه فما رشد؟! «الدعاء هو العبادة»، ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر:٦٠].

كرمُ الباري عظيم، وإحسانُه سبحانَه عميم، ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة:١٨٦]. والدّعاء أكرمُ شيءٍ على الله، وهو طريقٌ إلى الصّبر في سبيل الله، وصدقٌ في اللّجَأ وتفويض الأمر إليه والتوكّل عليه، وبعدٌ عن العجزِ والكسل، وتنعُّمٌ بلذّة المناجاة، فيزدادُ إيمان الداعي ويقوى يقينُه، ويبقى متّصلاً بربّه، وهو عبادةٌ سهلة ميسورَة، تصلح أصلاً في كلِّ زمان ومكانٍ وحال.

أثر الدعاء

الدعاءُ رافع للبلاء دافعٌ للشقاء، قال إبراهيم عليه السلام كما في محكَم التنزيل: ﴿وَأَدْعُو رَبِّى عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّى شَقِيًا ﴾ [مريم:٤٨]، وقال الله سبحانه عن نبيِّه زكريّا عليه السلام: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً ﴾ [مريم:٤]. فكم من بليّة ومحنةٍ رفعها الله بالدّعاء، ومصيبة كشفَها الله بالدّعاء، وكم من ذَنب ومعصيةٍ غفرَها الله بالدّعاء، وكم من رحمة ونعمةٍ ظاهرة وباطنةٍ استُجلِبت بسببَ الدعاء، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله : «لا يُغني حذَر من قدَر، والدعاءُ ينفَع ممّا نزل وممّا لم ينزِل، وإنَّ البلاء لينزل فيلقاه الدّعاء، فيعْتلِجان إلى يومِ القيامة» رواه الحاكم والطبراني بسند حسن، ولهَ شاهد عند أحمد.

الدعاء قربةُ الأنبياء، ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء:٩٠]، لا يهلِك مع الدّعاءِ أحد، ولا يخيب من للهِ رجا وقصَد، عن أبي سعيد الخدريَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله)) : ما مِن مسلم يدعو بدعوةٍ ليس فيها إثمٌ ولا قطيعة رحِمٍ إلا أعطاهُ الله بِها إحدى ثلاث: إمّا أن يعجّل له دعوتَه، وإمّا أن يدَّخر له، وإمّا أن يكشِف عنه من السوء بمثلَها»، قالوا: إذا نُكثر؟! قال: «اللهُ أكثَر» رواه الإمام أحمد

في المسند والبخاري في الأدب المفرد بسند حسن، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

ولمَّا دعا إبراهيم عليه السلام قال الله تعالى للنار: ﴿ كُونِي بَرْدًا وَسَلاَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الأنبياء:٦٩]، ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ [الأنبياء:٧٦]، ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ ﴾ [الأنبياء: ٨٣،٨٤]، ولمَّا نادى ذو النّون في الظلمات جاء الجوابُ من فوق السموات فقال الله جل في علاه: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٨]، ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ [الأنبياء:٨٩،٩٠]، وقد ذكَر الله تعالى رحمتَه بزكريّا إذ نادى ربَّه نداء خفياً، فلم يكن بدعاءِ ربّه شقياً، وفي كتابِ الله تعالى أكثرُ من ثلاثمائة آية عن الدعاء.

باب الفرج مفتوح

فيَا من تكالبَت عليه الهموم والغموم، وضاقت عليه الأرضُ بما رحُبت، أينَ أنت من سؤال الله؟ أينَ أنتَ من سؤال الله ورجائه؟! ويا مَن أرهقته الأمراضُ وأغرقته الديون، أين أنتَ مِن دعاءِ الغنيِّ الكريم؟! ويا مَن أثقلته المعاصي والذنوب، أينَ أنتَ مِن غافرِ الذنب وقابل التّوب؟! ويا مَن غشيَه الخوف والقلق، تطلّعْ إلى السّماء فعند الله الفرَج.

هذا هو الدّعاء، فأين السائلون؟! وهذا هو الطريق، فأين السالكون؟!

أمّة الإسلام، لقد مرّ على الأمّة أزمات ومضائقُ وابتلاءات ومآزق، فكان اللجَأ إلى الله هو سبيل النجاة، والله تعالى يبتلي الناسَ لترقّ قلوبهم ويلجؤوا إليه بصدق وتضرّع، قال الله تعالى لرسوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلاَ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنعام:٤٢،٤٣]. ولقد كان بعض المشركين الأوائل إذا نابَتهم النوائبُ واشتدَّ عليهم الخطب عرفوا أيَّ باب يطرقون، وأينَ يلجؤون ويُهرَعون، فدعَوا اللهَ مخلِصين له الدّين، وهذه أمّة الإسلام اليومَ أحوجُ ما تكون إلى ربِّها ولطفِه ونصره وعطفِه، فما الذي تغيَّر من حالِها؟! أينَ الرجوع إلى الله؟! أين سؤالُه ودعاؤه وقصده ورجاؤه؟!

أحكام الدعاء

أيّها المسلمون، إنَّ للدعاء شروطًا وآدابًا وأحكاما وأسبابًا، ينبغي للمسلم أن يتعلَّمها تأدُّباً مع ربِّه، وتقرّباً لإجابة دعائه وطلبه، ومنها توحيدُ الله تعالى في الدّعاء في القصدِ والطلب والوسيلة، وهذا بابٌ عظيم جعل الدعاءَ هو العبادة، فكان واجباً أن يُخلَص لله تعالى، وأن يتوجّه العبدُ إليه سبحانَه بالدعاء والمسألة والطّلب والاستغاثة والاستعانَة والاستعاذة والاستجارة والاستسقاءِ والاستنجادِ والاستغفارِ وطلَب النُّصرة وتحقيقِ المرغوبِ ودَفعِ المَرهوب وغُفران الذنوب وهداية القلوب وسدِّ الفاقات وسؤال قَضاء الحاجات ونَيل المَسرّات وتفريج الكرباتِ وإغاثَة اللّهفات وإزالةِ الغمّة وشفاء المريض وأَمن الطريق والتثبيتِ عند السؤال والأمن يومَ الوعيد والنجاةِ من العذاب الشديد، إلى غيرِ ذلك من أنواع الدعاء والمسألةِ ممَّا لا يقدر عليه إلا الله تعالى جلَباً لنفع أو دَفعاً لضرّ، وهذا من خالِص حقّ الله سبحانه علىً العَبد، وهو توحيدٌ من العبد لربّه في الدّعاء؛ لأنَّ الله سبحانه لا تأخذه سنةٌ ولا نوم، وهو وحدَه الذي يسمَع دعاءَ الداعين أينما كانوا، وبأيٍّ لغةٍ تكلّموا، لا يشغله سمعٌ عن سمع، ولا يتبرَم بكثرةِ الداعين وإلحاح الملحّين، هو سبحانه الذي لا تشتبِه عليه الأصواتَ، ولا تختلِف عليه الحاجات، يعلمُ ما في الضمائر وما تنطوِي عليه السرائر، وهو سبحانَه الذي ينفَع ويضرّ على الحقيقة دون أحدٍ من الخلائق.

لِذا كان من الشرك دعاءُ الأموات والقبور والملائكة والجنّ وغيرهم، وسواء كان باسم الشفاعة أو الوسَاطة أو الوجاهة أو القُربة، بل أخبر الله تعالى أنَّ الدعاءَ هو الدين فقال جلّ شأنه: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [غافر:٦٥]، والآيات في الباب كثيرة. ومن تأمّل دعاءَ الأنبياء وجدَه بالتوحيد كدعاءِ الكرب الذي دعا به يونسُ عليه السلام، فإنّه لم يتضمّن طلباً في الظاهر، وإنما كان توحيدًا خالصاً، ﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٧]، فاستجاب الله تعالى له بالتوحيد.

أيّها المسلمون، وممَّا ينبغي مراعاتُه في الدعاء بعدَ الإخلاص والمتابعة التضرّعُ والابتهال إلى الله تعالى والتملّق إليه بأسمائِه الحسنى وصفاته العلا، ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٨٠]، والاستغفار والإقرارُ بالذنب والاعتراف بالنّعم واستفتاحُ الدّعاء بالحمد والثناء على الله بما هو أهلُه والصلاة والسلامُ على خاتَم أنبيائه ورسله محمّد ، وأن لا يدعوَ بإثم ولا قطيعة رحِم، ولا يعتديَ في الدّعاء، ولا يستَعجِل، ولا

يستبطئ الإجابة، ولا يقنط، فإنَّ العبدَ يدعو ربًا كريماً، ويكون الداعي مؤمناً موقناً راجياً مستقبلَ القبلة متطهّراً في هيئة حسنةٍ توقيراً لله تعالى، رافعاً يدَيه لله سبحانه جازماً في المسألة عازماً ملحًا في الدّعاء متحيّناً أوقاتَ الإجابة متحرّياً الأدعيةَ النبويّة متحلّلاً من المظالم مقدِّماً بين يدَي نجواه صدقة، فإنَّ مثل هذا لا يكاد يُردّ أبداً، وإن تخلّفَ أثرُ الدعاء فليتَفقّد الداعي نفسَه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله : «يا أيّها الناس، إنَّ الله طيِّب لا يقبَل إلا طيّباً، وإنَّ اللهَ أمَر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون:٥١]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة:١٧٢]، «ثم ذكر الرجلَ يطيل السفَر، أشعَث أغبر يمدّ يدَيه إلى السّماء: يا ربِّ يا ربِّ، ومطعمُه حرام، ومشربُه حرام، وملبسُه حرام، وغذِّي بالحرام، فأنّى يستجاب لذلك؟!» رواه مسلم.

واستمِعوا - رحمكم الله - لهذا النّداء الإلهيِّ من ربِّكم الذي يناديكم بقوله: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٥، ٥٦].

أيّها المسلمون، مَن عامل الله تعالى بالتّقوى حالَ رخائِه عامله الله باللّطف والإعانة في حالِ شدَّته كما قال تعالى عن يونس عليه السلام لمّا التقمَه الحوت: ﴿فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات:١٤٣، ١٤٤]، أي: لولا ما تقدَّمَ مِن العملِ الصّالح لبقي في بطنِ الحوتِ إلى يوم القيامة.

فاتّقوا الله عبادَ الله، وادعُوه وألحّوا عليه في الطلَب، سيما في الأوقاتِ الحريَّة بالإجابة كيوم الجمعة والثلُث الأخير من الليل وبينَ الأذانِ والإقامة وفي السّجود وغير ذلك ممّا دلّت عليه السنّة.

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسولَ الله كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله ربّ العرشِ العظيم، لا إله إلا الله ربّ السموات السّبع وربَّ العرشِ الكريم» رواه البخاري ومسلم.

وعَن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله : «ما أصاب أحداً قطَ همَ ولا حزنٌ فقال: اللهمَ إنّي عبدك ابنُ عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدِك، ماضٍ فيّ حكمُك، عدلٌ فيّ قضاؤك، أسألك بكلِّ اسم هو لك، سمّيت به نفسَك، أو علّمتَه أحداً من خلقك، أو أنزلتَه في كتابِك، أو استأثرتَ به في علم الغيبِ عندك، أن تجعلَ القرآنَ العظيم ربيعَ قلبي ونورَ صدري وجلاءَ حزني وذهابَ همي، إلا أذهبَ الله عزّ وجلّ همَّه وحزنه، وأبدله مكانَه فرَحاً»، فقيل: يا رسول الله، ألا نتعلّمُها؟ فقال: «بلى، ينبغِي لِمَن سمعَها أن يتعلّمَها» رواه أحمد والحاكم وابن حبان والطبرانيّ بسند صحيح.

فعليكم بالدّعاء والصّبر على البلاءِ والعودةِ إلى ربّ الأرض والسماء، مع اليقين بقدَر الله، وأنَّ الله تعالى لا يظلِم مثقالَ ذرة، وأنَّ ما يصيب الإنسانَ فبسبَب نفسه.

ثمَّ اعلموا - رعاكم الله - أنَّ الأمّة أحوجُ ما تكون إلى وحدة الصفّ ونبذِ الخلافات والاجتماع على المصير الواحِد والابتعاد عن الاجتهادات والتصرّفات الفرديّة عن جماعة المسلمين، فإنَّ الاختلاف والتنازعَ سببٌ للفشل كما قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٥، ٤٦]، فقد أمرنا الله تعالى بطاعةِ الله ورسوله وعدم التنازع، وهو إشارةٌ إلى طاعة وليِّ الأمر، وإن حصل التنازع فالنتيجة الفشلُ وذهاب الريح، أي: ذهابُ القوة، وقيل: ذهابُ مهابة العدوّ لكم، ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، فالصبر واجبٌ مأمور به.

إنَّ الواجبَ على المسلمين اتباعُ توجيهات الكتاب والسنة، والواجبُ على العلماء توجيه الناسِ وإرشادُهم لما ينفعهم ويكشِف كربتَهم ويصلح حالهم، بتذكيرهم بالعودَة إلى الله، ومحاسبَة النفس واللجوءِ إلى الله ودعائه والإقبال عليه والطمأنينةِ به والاجتماع وعدَم الفرقة والنّزاع والائتلاف وتَرك الخلاف والإرجاف وردّ الأمور إلى ولاتِها والحذَر من إشاعة البلبَلة والقلاقِل ممّا يهدِّد مصالحَ الجماعة، ويؤدّي لاضطراب الأحوالِ وانتشار الخوف وقتل المعنويّات، فإنَّ خلافَ ذلك إثم واعتداءٌ على الأمة، قال الله تعالى محذّراً: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء:٨٣].

نظرات على فهم النص

الحلقة الثالثة

كتبه / متولي البراجيلي

ومن أسباب التعدد في فهم النص بلا مسوغ:

٣- أحادية النظرة للنصوص الشرعية:

الخوارج والمرجئة أظهر من وقعوا في الفهم الخاطئ بسبب هذه النظرة الأحادية، وافتقاد النظرة الشمولية لنصوص الشريعة وعدم ضم النصوص بعضها إلى البعض، فالخوارج عمدوا إلى نصوص الوعيد فقط من الكتاب والسنة وكفَّروا بها جموع المسلمين، ومن أمثلة أدلتهم:

-قول الله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١].

-وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: ١٤]. إلى غير ذلك من الآيات.

ومن الأحاديث:

-حديث الرسول ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نُهبةً يرفع الناسُ إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن». [متفق عليه، واللفظ للبخاري].

-وحديث: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر». [متفق عليه].

-وحديث: «من حلف بغير الله، فقد كفر أو أشرك». [صحيح الترمذي].

-وحديث: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه». [مسلم].

إلى غير ذلك من الأحاديث، فحكموا بالكفر على مرتكب الكبيرة وخلوده في النار أبدًا، وتركوا النصوص الأخرى التي تنقض فهمهم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وكحديث الرسول ﷺ: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن بُرَّة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن ذرة من خير». [البخاري].

وغير ذلك من الآيات والأحاديث.

أما المرجئة فعلى النقيض تمامًا من الخوارج، فقد عمدوا إلى نصوص الوعد وتغافلوا عن نصوص الوعيد، وأجابوا عن أحاديث الوعيد بأنها للنهي والزجر فقط وليست للإخبار عن انتفاء الإيمان، فالإيمان عندهم التصديق فقط وهو ثابت لا يزيد ولا ينقص، ومن أدلتهم من أحاديث الرسول ﷺ.

-حديث: من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، حرم الله عليه النار. [مسلم].

-وحديث: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة» [مسلم]

-وحديث أبي ذر رضي الله عنه قال: أتيتُ النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ فقال: ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق، على رغم أنف أبي ذر. [متفق عليه واللفظ للبخاري].

إلى غير ذلك من الأحاديث.

فحكموا لمن اقتصر على قول: لا إله إلا الله بالإيمان والنجاة من النار وإن لم يعمل خيرًا قطُّ، لأنهم أخرجوا العمل من مسمى الإيمان، وتركوا النصوص الكثيرة- قرآنًا وسنة- التي قُرن فيها بين العمل والإيمان، كقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: ١- ٣].

تنبيه: المرجئة أشدُّ خطرًا على العقيدة الإسلامية من الخوارج ومن غيرها من الفرق الأخرى، ومازال خطرها يستشري في جسد الأمة إلى الآن، بحيث نستطيع أن نقول- بلا تكلف أو مبالغة- إنه قلَّما يخلو بيت مسلم من مرجئ بشكل أو بآخر- إلا من رحم الله-.

فصلوا الإيمان عن العمل، وقالوا: إن الأمر كله مداره على القلب، فإذا امتلأ القلب بالإيمان فلا تضر معصية على الإطلاق.

وقد انتشر الفكر الإرجائي بسبب الميل البشري الطبيعي إلى التفلت من التكاليف.

وأهل السنة برءوا من هذه النظرة الأحادية، وجمعوا بين نصوص الوعد والوعيد، فهم وسط في فهم هذه النصوص، والإيمان عندهم كالشجرة حين تقطع بعض أعضائها فإنها تبقى شجرة مع ذلك

النقص، فالمرتكب لهذه الكبائر إيمانه ينقص لكن لا يزول، يُنفى عنه الإيمان نعم لكن لا يخرج من الإسلام؛ لأن النبي ﷺ نفى عنه الإيمان.

فالإيمان عند المرجئة مرتبة واحدة ثابتة لا تقبل الزيادة والنقصان، وكذلك عند الخوارج مرتبة واحدة تزال بالكلية.

والنبي ﷺ لم يُكَفِّر مرتكب الكبائر وإلاَّ ما أقام الحد على الزاني والسارق، ولم شرعت الحدود إذن؟

فمما هو معلوم أن الدين ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان. والكفر مرتبتان: كفر مخرج من الملة وكفر غير مخرج من الملة يسمى بالكفر العملي أو الأصغر كمثل حديث النبي ﷺ عن النساء:... ورأيت النار فلم أرَ كاليوم منظرًا قط، ورأيت أكثر أهلها النساء، قالوا: لِمَ يا رسول الله؟ قال: يكفرن، قيل: يكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئًا، قالت: ما رأيت منك خيرًا قط. [البخاري].

وثبت عن ابن عباس- رضي الله عنهما- أنه كان يدعو غلمانه واحدًا واحدًا فيقول: ألا أزوجك؟ ما من عبد يزني إلا نزع الله منه نور الإيمان.

وسأله عكرمة رضي الله عنه- كما بالبخاري-: كيف ينزع منه الإيمان، قال: هكذا. وشبك بين أصابعه ثم أخرجها، فإن تاب عاد إليه هكذا، وشبك بين أصابعه.

وسُئِل الإمام أحمد عن مرتكب الكبيرة، قال: يخرج من الإيمان ويقع في الإسلام.

وكذلك بسبب عدم جمع أدلة المسألة الواحدة والنظر فيها، وعدم حمل المجمل على المفسر والعام على الخاص والمطلق على المقيد... أدى ذلك إلى فهم خاطئ لدى فرق كثيرة على مدى تاريخ الإسلام.

ومن أمثلة ذلك مسألة الشفاعة التي أنكرها الخوارج والمعتزلة ومن نحا نحوهم حتى عصرنا الحديث كمن ألفوا في نفى الشفاعة ونفي عذاب القبر لأنهم استندوا إلى نصوص وتركوا نصوصًا.

فتمسكوا بقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، في نفي الشفاعة، وبقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَ تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٣].

ومثل ذلك من الآيات.

وقد أجمع أهل السنة على وقوع الشفاعة في الآخرة والإيمان بها، وذلك تأتَّى لهم عندما جمعوا بين الأدلة المتعددة التي وردت في الشفاعة ولم يكتفوا بالآيات النافية فقط.

فقد أثبت الله تعالى الشفاعة ثبوتًا عامًا: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الزمر:٤٤]، فالشفاعة موجودة لكنها بيد الله وحده.

ثم أثبتها ثبوتًا مقيدًا بالقيود التالية:

١ - الإذن بالشفاعة: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس:٣].

٢ - الرضا عن الشفيع: ﴿يَوْمَئِذٍ لاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾ [مريم:١٠٩].

٣ - الرضا عن المشفوع فيه: ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء:٢٨].

فيصير الجمع بين الأدلة كما يلي: الشفاعة ثابتة وهي بيد الله وحده سبحانه وتعالى لمن يوحد الله ولا يشرك به شيئًا بالقيود التالية: إذن الله للشفيع، رضا الله عن الشفيع والمشفوع له، وهي منفية عن المشركين والكافرين لأنهم ما حققوا شرطها الرئيس وهو التوحيد، وهذه القيود مجموعة في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم:٢٦].

مثال آخر: مسألة تدوين الأحاديث:

فبعض الذين يطعنون في حجية السنة يستندون إلى النصوص التي وردت عن النبي ﷺ في النهي عن تدوين الأحاديث.

مثل حديث الرسول ﷺ: لا تكتبوا شيئًا عني إلا القرآن، ومن كتب عني شيئًا فليمحه [مسلم].

ولم يلتفتوا إلى الأحاديث الأخرى التي وردت في المسألة، مثل حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: لم يكن أحدٌ من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثًا مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو بن العاص فإنه كان يكتب وأنا لا أكتب [البخاري].

أو حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قلت يا رسول الله ﷺ إني أسمع منك الشيء فأكتبه. قال: نعم، قلت يا رسول الله: في الغضب والرضا؟ قال: نعم، فإني لا أقول إلا حقا [أبو داود والحاكم وغيرهما].

أو ما ورد في البخاري ومسلم: أن أبا شاة اليمني التمس من النبي ﷺ أن يكتب له شيئًا سمعه من خطبته عام الفتح، فقال: «اكتبوا لأبي شاة» إلى غير ذلك من الأحاديث.

كيفية الجمع:

١ - الجمع بين الأحاديث الناهية عن الكتابة والأحاديث التي وردت بالإذن فيها، من أن النهي كان بالنسبة لمن لا يوثق بحفظه، أما من أُمن عليه اللبس بأن كان قارئًا كاتبًا أو خيف عليه النسيان وعدم الضبط لما سمع فلا حرج عليه في الكتابة.

٢ - النسخ: فأحاديث الإذن ناسخة لأحاديث النهي، فالنهي كان في أول الأمر حين خيف اشتغالهم عن القرآن بالأحاديث، أو خيف اختلاط غير القرآن بالقرآن، ثم لمَّا أمن ذلك نسخ النهي، ولعل مما يؤيد القول بالنسخ أن بعض أحاديث الإذن متأخرة التاريخ، فأبو هريرة راوي حديث الكتابة أسلم عام سبع من الهجرة، وقصة أبي شاة كانت في السنة الثامنة - عام الفتح -.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

نظرة عقدية للواقع

بقلم / محمد بن حسين يعقوب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وآله.. أما بعد.

(يا له من دين عظيم لو أن له رجالا).

إن الذي ينظر حوله هذه الأيام يجد داهية في كل ناحية، فالمصائب تتوالى، ولا تكاد تضع يدك على أي مكان في خريطة العالم إلا وتجد تحت إصبعك جرحًا ينزف بدماء المسلمين.

فمن البوسنة إلى كوسوفو إلى الشيشان، ثم أفغانستان والعراق، والبقية تأتي، وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله، حسبنا الله ونعم الوكيل.

لكن لا بد من تأمل، ولا بد من نظرة واقعية عملية، أليس الله قد قال - وهو الحق المبين -: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُم مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩]، فهل نحن قوم مؤمنون؟ سؤال مهم.

رسول الله ﷺ يقول: «لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين»(١)، فهل نحن قوم مؤمنون؟ كيف وقد لدغنا من الجحر نفسه عشرات المرات؟.

إننا بحاجة فعلا إلى وقفة لتجديد الإيمان، قال ﷺ: «إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فاسألوا الله تعالى: أن يجدد الإيمان في قلوبكم»(٢).

فلا بد أولا لتصحيح الاعتقاد من أمور:

أولها: إن الذي يجري اليوم من مآس ومحن إنما يجري بقدر الله ومشيئته: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر:٤٩-٥١].

الثانى: أن هذا الذي يجري إنما يجري تحت سمع الله وبصره سبحانه: ﴿لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَلاَ أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرُ﴾ [سبأ:٣].

الثالث: إن الله سبحانه العليم الحكيم الحليم الكريم الرحمن الرحيم أرحم بالمسلمين منا، بل ومن أمهاتهم، بل ومن أنفسهم ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾ [الإسراء:٥٤].

الرابع: إن هذه الأمة مرحومة، قال ﷺ: «أمتي هذه أمة مرحومة، ليس عليها عذاب في الآخرة، إنما عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا»(٣).

ومن رحمة الله بهذه الأمة أنها لن تُستأصل شأفتها بل هى باقية إلى يوم القيامة، ولن يسلط عليهم عدوٌ من سوى أنفسهم، ولا تزال راية الجهاد مرفوعة ما بقيت هذه الأمة، ولكن بالأمة من الآفات ما ينبغي الحذر منه.

قال ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها، وإني أعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكوا بسنة بعامة، ولا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي عز وجل قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد،

●● لا تكاد تضع يدك على أي مكان في خريطة العالم إلا وتجد تحت إصبعك جرحًا ينزف بدماء المسلمين

وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يفني بعضا، وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وضع في أمتي السيف لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين حتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله»(٤).

إذا ثبتت هذه المقدمات فالبحث إذًا في الحكمة والأسباب وراء ما يجري من هزائم للمسلمين لا بد من البحث في الأسباب لكي نستفيد ونعالج المرض من جذوره.

وبالنظر بادي الرأي فالأمر لا يعدو إحدى ثلاث والله أعلم.

- إما هو من قبيل العقوبة والجزاء.
- أو هو من قبيل المحنة والابتلاء.
- أو هما معًا وأظن أن الأمر كذلك.

فأما من جهة العقوبة:

فإن الأمة فعلا مغيبة عن قضاياها الحقيقية يقتلها الترف والفجور والشهوات والأهواء والجهل والعمى، قال ﷺ: «سيكون رجال من أمتي يأكلون ألوان الطعام، ويشربون ألوان الشراب، ويلبسون ألوان الثياب، ويتشدقون في الكلام فأولئك شرار أمتي»(٥).

الأمة تعاني من آفات عديدة لا سيما في الجانب الأخلاقي وقد قال ﷺ: «سيصيب أمتي داء الأمم: الأشر والبطر والتكاثر والتشاحن في الدنيا والتباغض والتحاسد حتى يكون البغي»(٦).

وعقوبات الله لا بد منها في الدنيا قبل الآخرة، قال رسول الله ﷺ: «يا معشر المهاجرين! خصال خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوًا من غيرهم فأخذوا بعض ما كان في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله عز وجل ويتحروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم»(٧).

فلا بد من عقيدة راسخة في أن الله سبحانه ليس بظلام للعبيد ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [يونس:٤٤]، وقال تعالى: ﴿ فَكُلاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٠].

فما أصابهم إنما هو بما قدمت أيديهم، وما ربك بظلام للعبيد، مع العلم أن ذنوبنا ليست بالقليلة ولا بالصغيرة، ولكن الإمهال من العليم

•• ذنوبنا ليست بالقليلة ولا بالصغيرة، ولكن الإمهال من العليم الحكيم، فما أصابهم رسالة لنا جميعًا أن أفيقوا أيها المسلمون وإلا فالدائرة ستتسع لتشمل الجميع

•• لابد من الإبحار داخل أغوار النفس لتعرف حقيقة دائك، ثم تبدأ رحلة الإصلاح بصدق واستعانة بالله تعالى

الحكيم، فما أصابهم رسالة لنا جميعًا أن أفيقوا أيها المسلمون وإلا فالدائرة ستتسع لتشمل الجميع.

وأما من جهة الابتلاء:

فقد قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٤-٦].

فسُنة الله تعالى في خلقه أن يبلو بعضهم ببعض لينظر كيف يعملون، فما أصاب إخواننا ابتلاء لهم وتمحيص، وهو أيضًا ابتلاء لنا، ماذا سيكون موقفنا؟ ماذا قدمنا؟ وماذا صنعنا؟.

ابتلاء للعقائد: في الولاء والبراء.

فما العمل والسبيل:

أولا: ننزل كلام الله تعالى على قلوبنا دواءً.

قال الله الملك جل جلاله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٨) وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧ - ١٤٢].

صدق الله، ومن أصدق من الله قيلا؟! إي والله إنَّ هذا القرآن نعم الدواء والشفاء لما في الصدور، إنه لَلْعلاج النافع الكافي الشافي.

يا للمسلمين:

كالعيس في البيداء يقتلها الظما
والماء فوقَ ظهورها محمول

ثانيًا: السنة الإلهية سنة ثابتة لا تتغير ولا تتبدل:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، فلا بد من العودة باللائمة على النفس؛ أن يقول كل منا لنفسه (أنا السبب في هذه المآسي التي تحدث للمسلمين)، كان عطاء السلمي إذا غلا السعر أو اشتدت الريح يقول: كل هذا بسببي يصيبكم، لو مات عطاء لاستراح الناس.

فيجب على كل مسلم أن يبحث في داخل نفسه، ماذا يجب تغييره من نفسه؟ لا بد أن نتغير ليغير الله ما بنا، لابد من الإبحار داخل أغوار النفس لتعرف حقيقة دائك، ثم تبدأ رحلة الإصلاح بصدق واستعانة بالله تعالى، وعزيمة قوية لكي تصلح أن تكون عبدًا لله ينصر بك دينه، ويعلي بك راية الإسلام.

ثالثًا: تصحيح العقائد:

من الثغرات التي أُتينا من قبلها في الآونة الأخيرة وهي نفس الثغرة التي نؤتى منها دائمًا ضياع الأصول التي ترتكز عليها الأعمال، وتنطلق منها المواقف والتصرفات وأهمها الأصل العقدي.

لذلك شدد النبي ﷺ على هذا الأصل

من رحمة الله بهذه الأمة أنها لن تستأصل شأفتها بل هي باقية إلى يوم القيامة، ولن يسلط عليهم عدوٌ من سوى أنفسهم

الأصيل، وحذر الأمة في غير ما حديث من وقوع الخلل في هذا الجانب، قال ﷺ: «أخاف على أمتي من بعدي ثلاثا: حيف الأئمة، وإيمانا بالنجوم، وتكذيبا بالقدر»(٨).

وقال ﷺ: «سيكون في آخر الزمان ناس من أمتي يحدثونكم بما لم تسمعوا به أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم»(٩).

إن الجهاد قضية الأمة ومستقبلها وشرفها، نحن نؤمن بذلك ونؤمن يقينًا أنه لا خلاص ولا عزة للمسلمين إلا بذلك، إنه دين وعبادة وقربة لله فله شروط وأصول.

هذا الشباب الذي ذهب إلى ما يعتقد أنه جهاد ماذا صنعوا؟ وأين هم؟!! إن القلب ليعتصره الألم والله على شباب المسلمين الذين يضيعون هدرًا.

نحن في حاجة إليهم ومع شيء من الصبر يتجلى الحق.

خلف من يجاهدون؟ ورسول الله ﷺ يقول: «إنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجرا وإن أمر بغيره فإن عليه وزرا»(١١).

لابد من الرجوع للعلماء والأكابر المخلصين من أهل الديانة والصيانة وأهل الدراية والرعاية.

لابد للرجوع إلى أهل الخبرة في الدعوة من الصادقين الصابرين الثابتين.

لابد من صبر على تجرع الغصص كي لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

صبرًا أهل الإسلام «والله مع الصابرين».

الهوامش:

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك والطبراني في الكبير وصححه الألباني (١٥٩٠) في صحيح الجامع.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه والطبراني في الكبير عن أبي موسى الأشعري وصححه الألباني (١٣٩٦) في صحيح الجامع.

(٤) أخرجه الرمام أحمد في مسنده، ومسلم في صحيحه وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٧٣).

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية عن أبي أمامة وحسنه الألباني (٣٦٦٣) في صحيح الجامع.

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة وحسنه الألباني (٣٦٥٨) في صحيح الجامع.

(٧) أخرجه ابن ماجه والحاكم في المستدرك عن ابن عمر وصححه الألباني (٧٩٧٨) في صحيح الجامع.

(٨) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق عن أبي محجن، وصححه الألباني (٢١٤) في صحيح الجامع.

(٩) أخرجه مسلم.

(١١) متفق عليه.

كيف تعبد الله آلاف السنين؟!!

الحلقة الثالثة

بقلم / صلاح عبد الخالق محمد

الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة والصلاة والسلام على سيد الأنام، وبعد..

فمن محاسن الإسلام الكثيرة أن دل المسلم على أبواب الطاعات التي تُجري - بإذن الله تعالى - عليه الحسنات في أثناء حياته وبعد مماته.

السؤال الهام: كم هي المدة التي ستبقى في قبرك إلى قيام الساعة؟ مئات السنين؟ آلاف السنين؟ الله أعلم.

فحرى بنا من الآن أن نبحث بجد واجتهاد عن أبواب الحسنات العظام التي عن طريقها تجرى علينا الحسنات ونحن أحياء وبعد الموت من هذه الأبواب:

١. الصدقات الجارية:

تعريف الصدقة الجارية: هي العطية التي تبتغي بها المثوبة من الله، وقيل هي التطوع بتمليك العين بغير عوض، وقيل هي المال الذي وهب لأجل الثواب وقيل هي الوقف وهو ما يحبس في سبيل الله.

من هذا وغيره يتضح أن الصدقة الجارية قربة يفعلها الإنسان لوجه الله، تقربًا إلى الله ولينتفع بها الناس فترة زمنية فيجري له أجرها فترة بقائها.

[مجلة التوحيد ١٤٢١ / صفر / ٤٧]

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له».

أبواب الصدقة الجارية كثيرة منها:

في سنن ابن ماجة وصحيح الجامع (٣٢٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره وولدًا صالحًا تركه أو مصحفا ورثه أو مسجدًا بناه أو بيتًا لابن السبيل بناه أو نهرًا أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته».

٢. تعليم العلم النافع ونشره:

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث علم ينتفع به...» الحديث.

إن تعليم العلم النافع ونشره من أفضل الحسنات الجارية وأدومها إلى يوم الدين وأدومها لأنها حلقات متصلة وحسنات ممتدة بانتقال العلم عبر الأجيال.

في صحيح الجامع (٦٣٩٦) وسنن ابن ماجه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ قال: «من علم علمًا فله أجر من عمل به لا ينقص من أجر العامل شيء».

قال العلامة محمد الصالح بن عثيمين - رحمه الله - : وأفضل هذه الثلاثة العلم الذي ينتفع به، وأضرب لكم مثلا بل أمثال كثيرة: أبو هريرة رضي الله عنه: من أفقه الصحابة عند الرسول ﷺ يسقط أحيانًا على الأرض من شدة الجوع ومع ذلك فإن أكثر المسلمين الآن لا يقرءون إلا رواياته وهو الذي نقل لنا هذه الأحاديث وهي صدقة جارية إذا ما قورنت بأي صدقات أخرى في عهده!

الإمام أحمد، شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمهما الله - يدرسنا كل منهما وهو في قبره لأن كتبه بين أيدينا، أكبر خليفة، أكبر تاجر في

عهد ابن تيمية هل وصل خيرهم إلينا اليوم؟! إذًا العلم أنفع الثلاثة، فالصدقة الجارية قد تتعثر والولد الصالح قد يموت ولكن العلم النافع الذي ينتفع به المسلمون باق إلى ما شاء الله! فأحرص أخي على العلم فهو لا يعدله شيء.

[شرح رياض الصالحين ٣/٩٤]

قال الحافظ المنذري رحمه الله: وناسخ العلم له أجره وأجر من قرأه أو نسخه أو عمل به من بعده ما بقي خطه.

[الترغيب والترهيب ١/٥٤]

ووسائل تعليم العلم النافع ونشره كثيرة منها:

١ - الدعوة إلى الله بأي وسيلة متاحة ومباحة.
٢ - إهداء المصحف أو الكتب الإسلامية أو المجلات الإسلامية.
٣ - الدعوة لمجالس العلم.
٤ - بناء المساجد أو المعاهد الدينية.
٥ - تأليف الكتب الدينية.

يقول ابن الجوزي: «كتاب العالم ولده المخلد».

تنبيه هام: الإنفاق على نشر العلم أفضل وأدوم من إقامة سرادقات المآتم التي تكون وبالا على المسلم في الدنيا والآخرة يُسأل عن هذه الأموال فاتقوا الله يا عباد الله.

٣. الولد الصالح:

الولد كل ما وُلِدَ ويطلق على الذكر والأنثى والصغير والكبير والواحد والجمع.

[المعجم الوسيط (١٠٩٩)]

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث (...... وولد صالح يدعو له)».

قال الشيخ الألباني رحمه الله: قيد بالصالح لأن الأجر لا يحصل من غيره وأما الوزر فلا يلحق بالوالد من سيئة ولده إذا كان نيته في تحصيل الخير، وإنما ذكر الدعاء له تحريضا على الدعاء لأبيه، لا لأنه قيد، لأن الأجر يحصل للوالد من ولده الصالح كلما عمل عملا صالحًا سواء أدعا لأبيه أم لا، كمن غرس شجرة يحصل له من أكل ثمرتها ثواب سواء أدعا له من أكلها أم لم يدع وكذلك الأم. أهـ

[أحكام الجنائز(١٧٦)]

قال العلامة ابن عثيمين قوله ﷺ: «ولد صالح يدعو له» لأن غير الصالح لا يدعو لوالديه ولا يبرهما لكن الصالح هو الذي يدعو لوالديه بعد موتهما ولهذا يتأكد علينا أن نحرص غاية الحرص على صلاح أولادنا لأن صلاحهم صلاح لهم وهو خير لنا حيث يدعون لنا بعد الموت.

[شرح رياض الصالحين ٣/٩٤]

فائدة: اعلم أن صلاح الأولاد طريقه ليس صعبًا ولكن يا من تريد صلاح أولادك عليك بالنية الصالحة والقدوة الحسنة وتعليم الأولاد القرآن والسنة وتسلح بهذا السلاح القوي الفعال بإذن الله وهو الدعاء؛ عليك بالدعاء قبل أن يأتي الولد قال تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٠،١٠١].

والدعاء أثناء الحياة ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ [الأحقاف:١٥].

ثمرات الولد الصالح عظيمة في الدنيا الراحة والطمأنينة وتقر عينك به وفي القبر سيول من الحسنات ما بقى ولدك على قيد الحياة وولده وولد ولده...

ويوم القيامة رفع درجاتك في الجنة، في مسند الإمام أحمد بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يا رب أنى لي هذه؟ فيقول باستغفار ولدك لك».

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:٧٤].

٤. الرباط في سبيل الله:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

تعريف المرابطة عند العرب: العقد على الشيء حتى لا ينحل فيعود إلى ما كا صبر عنه فيحبس القلب على النية الحسنة والجسم على فعل الطاعة ومن أعظمها وأهمها رباط الخيل - الجهاد - في سبيل الله كما نُص عليه في التنزيل في قوله تعالى: ﴿ومن رباط الخيل﴾ وارتباط النفس على الصلوات كما قاله ﷺ.

[تفسير القرطبي ٢/١٦٦٤]

من فضائل الرباط

ثبت في صحيح مسلم عن سلمان الفارسي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه وأمن الفتان».

في مسند الإمام أحمد وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٤٥٦٢) عن فضالة بن عبيد يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل ميت يُختم على عمله إلا الذي مات مرابطًا في سبيل الله فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويأمن فتنة القبر».

يقول القرطبي رحمه الله: في هذين الحديثين دليل على أن الرباط أفضل الأعمال التي يبقى ثوابها بعد الموت، فالصدقة الجارية والعمل المنتفع به والولد الصالح الذي يدعو لأبويه ينقطع ذلك بنفاد الصدقات وذهاب العلم وموت الولد، والرباط يُضاعف أجره إلى يوم القيامة لأنه لا معنى للنماء إلا المضاعفة وهي غير موقوفة على سبب فتنقطع بانقطاعه بل هي فضل دائم من الله تعالى إلى يوم القيامة.

[تفسير القرطبي ٢/١٦٦٤]

ومن أنواع الرباط في سبيل الله:

ما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط».

٥. إذا أكل إنسان أو غيره من زرع لميت:

ثبت في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ على أم معبد حائطًا فقال: «يا أم معبد، من غرس هذا النخل أمسلم أم كافر؟» فقالت: بل مسلم قال: «فلا يغرس مسلم غرسًا فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا طيرٌ إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة»، وفي رواية: «ما من مسلم يغرس غرسًا إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة وما أكلت الطير منه فهو له صدقة، ولا يرزؤه ـ ينقص ويأخذ منه ـ أحد إلا كان له صدقة» قال الإمام النووي في شرح مسلم: في هذه الأحاديث فضيلة الغرس وفضيلة الزرع وأن أجر فاعل ذلك مستمر ما دام الغراس والزرع وما تولد منه إلى يوم القيامة.

احذر السيئات الجارية

اعلم أخي المسلم أنه كما يوجد حسنات جارية فهناك أيضًا سيئات جارية يجرى على فاعلها الذى دعى إليها سيئات ما دامت تفعل إلى يوم القيامة إن لم يتب إلى الله تعالى.

ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا».

في سنن ابن ماجة عن أبي جحيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «... من سن في الإسلام سنة سيئة فعُمل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل أوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».

قال الإمام النووي في شرح مسلم: ومن سن سنة سيئة كان عليه وزر كل من يعمل بها إلى يوم القيامة وأن من دعا إلى ضلالة كان عليه مثل آثام تابعيه سواء كان ذلك هو الذي ابتدأه أم كان مسبوقًا إليه. أهـ.

ومن أمثلة السيئات الجارية:

١ ـ نشر البدع والضلالات بين المسلمين، وخاصة فيما يتصل بالعقيدة الإسلامية من أصحاب الأهواء وفرق الضلالة.

٢ ـ نسخ وبيع العلم غير النافع مما يوجب الإثم، عليه وزره ووزر من قرأه أو نسخه أو عمل به من بعده ما بقي خطه.

[الترغيب والترهيب ١/٥٤]

٣ ـ كل من دعا إلى معصية الله بأي وسيلة وفعلت من بعده.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

٤ ـ بيع أو توزيع أو إهداء الأشرطة الفاسدة مثل شرائط الفيديو أو الكاسيت التي تدعو إلى الفاحشة والفجور وكذلك المجلات والكتب والملصقات وغيرها التي تدعو إلى الفاحشة والضلال والمعصية.

والحمد لله رب العالمين.

بسير الأعلام

شيخ الإسلام
سليمان التيمي الإمام

بقلم / مجدي عرفات

اسمه ونسبه: هو سليمان بن طَرخان أبو المعتمر التيمي البصري القيسي مولاهم، لم يكن تيميا بل نزل فيهم أي نزل في بني تيم.

مولده: ولد سليمان التيمي في حدود سنة ست وأربعين.

شيوخه: روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وعن ثابت البناني، والحسن البصري والربيع بن أنس، والأعمش، وطاوس بن كيسان، وقتادة، ويحيى بن يعمر، وأبي إسحاق السبيعي، وأبي عثمان الهندي، وأبي عمران الجوني وأبي نضرة العبدي وخلق كثير.

الرواة عنه: روى عنه إسماعيل بن علية، وجرير بن عبد الحميد، وحماد بن سلمة والسفيانان، وشعبةُ، وأبو عاصم النبيل، وابن المبارك، وعبد الوارث بن سعيد، ومعاذ بن معاذ العنبري ومعتمر ابنه، وهشيم ويحيى القطان، ويزيد بن هارون، وأبو إسحاق الشيباني وهو من أقرانه، وأبو بكر بن عياش وأبو خالد الأحمر، وخلق.

ثناء العلماء عليه: قال أحمد بن حنبل: هو ثقة وهو أحب إليّ من أبي عثمان النهديْ ومن عاصم الأحول.

قال ابن معين، والنسائي: ثقة. وقال العجلي: ثقة من خيار أهل البصرة.

وقال شعبة: شك ابن عون وسليمان التيمي يقين. يعني لثقته بحفظهما وضبطهما فالشك منهما يقين عند غيرهما.

قال ابن سعد: من العباد المجتهدين كثير الحديث ثقة.

قال الثوري: حفاظ البصريين ثلاثة: سليمان التيمي وعاصم الأحول وداود بن أبي هند، وعاصم أحفظهم.

قال ابن علية: سليمان التيمي من حفاظ البصرة.

قال يحيى بن سعيد: ما جلست إلى أحد أخوف لله من سليمان التيمي، وسمعته يقول ذهبوا بصحيفة جابر إلى الحسن فرواها - أو قال فأخذها - وذهبوا بها إلى قتادة فأخذها، وأتوني بها فلم أُردْها.

قال ابن أبي حَاتم: سئل أبي: سليمان التيمي أحب إليك في أبي عثمان أو عاصم؟

قال: سليمان، قال أحمد بن حنبل: كان يحيى بن سعيد يثنى على سليمان التيمي ويقدمه على عاصم الأحول.

قال ابن حجر: ثقة عابد.

من أحواله وأقواله: قال شعبة: ما رأيت أحدًا أصدق من سليمان التيمي رحمه الله، كان إذا حدث عن النبي ﷺ تغيّر لونه.

قال سعيد بن عامر الضُبَعي: كان سليمان التيمي يسبح الله في كل سجدة سبعين تسبيحة.

قال محمد بن عبد الأعلى: قال لي معتمر بن سليمان: لولا أنك من أهلي ما حدثتك بذا عن أبي، مكث أربعين سنة يصوم يومًا ويفطر يومًا ويصلي صلاة الفجر بوضوء عشاء الآخرة اهـ. قلت: وهذه الصلاة طول الليل كله خلاف هدي النبي ﷺ الذي كان ينام ويقوم.

قال معاذ بن معاذ: كنت إذا رأيت التيمي كأنه غلام حدث قد أخذ في العبادة، كانوا يرون أنه أخذ العبادة عن أبي عثمان النهدي.

قال حماد بن سلمة: ما أتينا سليمان التيمي في ساعة يطاع الله فيها إلا وجدناه

مطيعًا وكنا نرى أنه لا يحسن يعصي الله.

قال علي بن المديني سمعت يحيى بن سعيد يقول: كان التيمي يحدث الشريف والوضيع خمسة خمسة، قلت: كان يدعكم تكتبون؟ قال: لا. إن ردّ عليه إنسان حسبه عليه، وكنت أردّ عليه ويحسب عليّ، يعني بقوله: أردّ عليه، أني أعيد الحديث لأحفظه فيحسبه عليه بحديث من تلك الخمسة. قلت: لأن حفظهم كان سريعًا بعد السماع مباشرة.

قال إبراهيم بن إسماعيل استعار سليمان التيمي من رجل فروة فلبسها ثم ردّها، قال الرجل: فمازلت أجد فيها ريح المسك.

قال جرير بن عبد الحميد: إن سليمان التيمي لم تمرّ عليه ساعة قط إلا تصدق بشيء، فإن لم يكن شيء صلى ركعتين.

قال سليمان التيمي: لو أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله.

قال معتمر بن سليمان: قال لي أبي عند موته: يا معتمر حدثني بالرخص لعلي ألقى الله تعالى وأنا أحسن الظن به.

قال سليمان التيمي: إن الرجل ليذنب الذنب فيصبح وعليه مذلته.

عن فضيل بن عياض قال: قيل لسليمان التيمي: أنت أنت ومن مثلك؟

قال: لا تقولوا هكذا، لا أدري ما يبدو لي من ربّي عزّ وجل سمعت الله يقول ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر:٤٧].

عن سعيد بن عامر الضبعي قال: مرض سليمان التيمي فبكى، فقيل: ما يبكيك؟ قال: مررت على قدريّ فسلمت عليه فأخاف الحساب عليه. قلت: القدري في زمان التيمي هو من كان يقول: لا قدر والأمر أنف أي أن الله لم يقدر شيئًا ولم يكتبه ولم يعلمه حتى يعمله العبد، وهذا كفر كما قال ابن عمر لسائله عنهم: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني فوالذي يحلف به ابن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر.. الحديث ، ثم تطور مذهب القدرية إلى أن قالوا: إن الله قدر الخير ولم يقدر الشر وهذا ضلال أيضًا.

عن مهدي بن ميمون قال: أتيت سليمان فوجدت عنده حماد بن زيد ويزيد بن زريع وبشر بن المفضل وأصحابنا البصريين فكان لا يحدث أحدًا حتى يمتحنه فيقول له: الزنى بقدر؟ فإن قال: نعم، استحلفه أن هذا دينك الذي تدين لله به؟ فإن حلف حدثه خمسة أحاديث، قلت: أي اعتقد أن الله قدر الشر والمعصية كما قدر الخير والطاعة ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر:٦٢]، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢]، سبحانه وتعالى.

قال معتمر بن سليمان: قال أبي: أما والله لو كُشف الغطاء لعلمتْ القدرية أن الله ليس بظلام للعبيد. قلت: يعني في تقديره تعالى على العباد المعصية وحسابهم عليها وتعذيب الكافر على كفره الذي قدره عليه قال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف:١٧]، وقال: ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام:٣٩]، وقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة:١٣]، وقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ [الأعراف:١٧٩]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم:٨٣]، ومع كل هذا ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦]، ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:١٠٨]، وقد استشكل القدرية هذا الأمر فنفوا عن الله أن يكون قدر الشر ظنًا منهم أنهم ينزهون الله عن ذلك، وهذا ظن خاطئ.

وقد كثر كلام التيمي عن القدرية لأنهم قد ظهروا في حياته وانتشر مذهبهم، قطع الله دابرهم، وهدانا إلى الصراط المستقيم برحمته.

وفاته: توفى سليمان التيمي رحمه الله بالبصرة في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين ومائة وهو ابن سبع وتسعين سنة.

المراجع:
تذكرة الحفاظ.
سير أعلام النبلاء.
تهذيب الكمال.
تقريب التهذيب.
عقيدة السلف أصحاب الحديث.
شرح العقيدة الطحاوية.

مفاهيم عقائدية

توحيد الربوبية

الحلقة الرابعة

بقلم / أسامة سليمان

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد.

فبعد أن بينا مفهوم الإيمان وخصائصه ونواقضه، نوضح بعون الله وفضله القسم الأول من أنواع التوحيد وهو توحيد الربوبية.

معناه: الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه رب كل شيء ومليكه وبأنه الخالق المدبر المعطي المانع المحي المميت الرازق ذو القوة المتين لا يشاركه أحد في فعله سبحانه.

وكلمة الرب تأتي على معانٍ ثلاثة، تأتي بمعنى المالك وبمعنى السيد والحاكم، ولا يطلق لفظ الرب مطلقًا إلا عليه سبحانه فهو المربي لخلقه بنعمه، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ...﴾ [الأعراف:٥٤].

وهو رب الناس أي الملك له، والحكم له سبحانه: ﴿إِنِ الحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [يوسف:٤٠].

والإقرار بهذا النوع من التوحيد مركوز في فطرة الإنسان، ولذلك أقر المشركون به، فهم يعترفون له سبحانه بالربوبية والانفراد بالخلق والرزق والإحياء والإماته فيقول سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون:٨٦، ٨٧]، ويقول أيضًا: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥].

والقرآن الكريم تناول هذا القسم من التوحيد حين دعا إلى التدبر في آيات الله في الكون والنفس والخلق، يقول جل شأنه: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَلْ لاَ يُوقِنُونَ﴾ [الطور:٣٥، ٣٦]، ويقول سبحانه: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق:٥-٧]، ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:٦-٨].

ويقول سبحانه: ﴿أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ [الغاشية:١٧، ١٩]، ويقول جل شأنه: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات:٤٩]، ويقول سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي المَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت:٣٩]، والآيات في ذلك كثيرة.

والاستدلال على وجوده سبحانه بالتفكر في عظيم خلقه منهج الرسل والأنبياء والفقهاء والعقلاء.

١ - قال إبراهيم عليه السلام للنمرود: «ربي الذي يحيي ويميت».

٢ - وقال موسى عليه السلام ردًا على فرعون لما سأله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ

كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ [الشعراء:٢٣، ٢٤].

٣ ـ قول الرسل لأقوامهم ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [إبراهيم:١٠].

٤ ـ استدلال الفقهاء على وجوده سبحانه بآياته في خلقه، فالإمام أبو حنيفة رحمه الله أشار إلى ذلك بسير الموجودات وفق تدبير ونظام محكم، فلا يصدق العقل أن سفينة تسير دون قائد.

والإمام مالك رحمه الله أشار إلى اختلاف الأصوات واللغات والألسنة.

والشافعي رحمه الله دلل بورقة التوت التي تخرج عسلا وحريرًا وبعرًا إذا أكلها النحل والدود والأنعام.

وأحمد بن حنبل رحمة الله عليه أشار إلى البيضة وما يخرج منها. هل يحدث ذلك بلا خالق.

وصدق من قال:

تأمل في نبات الأرض وانظر
إلي أثار ما صنع المليكُ
عيون من لجين شاخصاتٌ
بأحداق هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهداتٌ
بأن الله ليس له شريك

وصدق أيضا من قال:

فيا عجبًا كيف يعصى الإله
أم كيف يجحده الجاحدْ
ولله في كل تحريكة
وفي كل تسكينة شاهدْ
وفي كل شيء له آيةٌ
تدل على أنه واحدْ

هذا منهج الرسل والفقهاء والعقلاء. أما منهج الفلاسفة والمتكلمين في إثبات وجود الله سبحانه فقد جانبه الصواب حيث أثبتوا جنس الخالق ولم يثبتوا عين الخالق، حيث أقاموا الأدلة والبراهين على وجود خالق للكون لكنهم لم يثبتوا له صفات الكمال ولم ينفوا عنه صفات النقص فانحرفوا عن الصراط المستقيم وركبوا طرق الضلال.

وهذا القسم من التوحيد له نواقض عديدة منها.

١ ـ الاعتقاد أن مع الله شريكا في خلقه أو ملكه أو تدبيره أو إعطائه أو منعه أو نفعه أو ضره أو خفضه أو رفعه وهذه الصورة قد تلبس بها كثير من المسلمين فجعلوا النفع والضر بيد غير الله، فمنهم من يعتقد أن صاحب القبر ينفع أو يضر وهذا شرك في الربوبية فينبغي أن يكون واضحا بعقيدة ثابتة أن النفع والضر بيد الله سبحانه وتعالى.

وهذا الباب انتشر عند بعض المسلمين كمن يذهب إلى صاحب القبر طالبًا الولد أو شفاء المريض أو غير ذلك وهذا كله طعن في الربوبية.

وكذلك الاستعانة بالجن أو بغيرهم من الكهان والسحرة والعرافين فهذا أيضًا كفر بالربوبية وطعن فيها.

٢ ـ الاعتقاد بأن العقل يستقل بالتشريع أو أن العقل يشارك الوحي في التشريع... فما وافق العقل قبلوه وما لم يوافق العقل ردوه وإن كان في الصحيحين، فجعلوا العقل مستقلا في التشريع فهم يعرضون الوحي على العقل فما وافقه أخذوا به وما عارضه تركوه.

ولذلك ينبغي أن يعلم:

أن التحليل والتحريم والثواب والعقاب متعلق بالوحي لا بالعقل، فالصحابة رضي الله عنهم كانوا يشربون الخمر وهي مستقبحة في العقول ولكن من حرمها؟ ـ الجواب هو الشرع ـ فلا يجوز الاعتقاد أن الشرع له مساحة والعقل له مساحة في التشريع بل العقل أداة؛ حالُهُ مع الوحي كحال العين مع النور فإن وجد النور أبصرت العين، فنحن مأمورون بإعمال العقل في فهم النصوص واستنباط ما يمكن أن يستنبط من

النص فليس للعقل أن يرد النص.

٣ - الاعتقاد بأن الآيات الواضحات في الكون ووحي السماء لا يدلان على إثبات الخالق.

٤ - الاعتقاد بأن الفطرة لا تدل على إثبات الخالق وهذا تكذيب لقول الله في الحديث القدسي: «إني خلقت عبادي حنفاء».

٥ - الاعتقاد أن الأشياء خلقت نفسها أو خلقتها الطبيعة، لذلك تجد عندهم نظرية تسمى «الحتمية العلمية» أي أن الأسباب لابد أن تؤدي حتما إلى نتيجة، ونحن نقول: إن الأسباب تؤدي إلى نتيجة إن أراد الله ذلك، فالمؤمن يعتقد أن كل شيء يقع في الكون يكون بأمر الله.

٦ - الاعتقاد بأن معجزات الرسل لا تدل على إثبات الخالق.

٧ - الاعتقاد أن الله يخلق عند الأسباب ولا يخلق بالأسباب انظر إلى قول الله تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ [المائدة:١٦]، ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦].

فالنار لا تحرق بذاتها ولكن الله هو الذي يأمرها أن تحرق بإذنه: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩]، فالله يخلق بدون أسباب ويخلق مع ضعف الأسباب ويخلق بالأسباب كاملة.

١ - ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم:٢٥]، فرزقها مع ضعف السبب ورزقها بدون سبب ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران:٣٧].

وبالأسباب: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ [الملك:١٥].

٨ - الاعتقاد بأن الأشياء تخلق بمفردها وأنها المبدعة للمسببات والحق أن السبب لا يعمل إلا بقدرة الله ومشيئته.

٩ - الاعتقاد بأن لقدرة الله وقوته نظيرًا من المخلوقات.

١٠ - الاعتقاد بأن الله لا قدرة له ولا قوة له على الخلق.

١١ - الاعتقاد بأن الله يجب عليه شيء، كقول المعتزلة «واجب على الله أن يرسل الرسل» وقالت أهل السنة (أوجبه على نفسه تفضلا).

«كتب ربكم على نفسه الرحمة» وذلك من باب التفضل.

١٢ - من صور جحود الخالق:

١ - إنكار أن لهذا الكون خالقًا مدبرًا.

٢ - تعطيل أسمائه وصفاته كمن قال أنا لا أصفه بوجود ولا عدم.

١٣ - الاعتقاد بأن الخالق هو المخلوق - وخطورة هذا المعتقد عدم التمييز بين الذوات وجعلها جميعها واحدة.

وهذا عين وحدة الوجود وهذا هو معتقد «ابن عربي» الذي لم يفرق بين الخالق والمخلوق، وكذا من قال إن الله في كل مكان بذاته، وهذا هو الاتحاد العام لأن الله بائن عن خلقه أي متميز ومغاير لهم وأما الاتحاد الخاص: فهو أن اللاهوت قد اختلط بالناسوت كما يختلط الماء باللبن وهذا قول يعقوبية النصارى.

والحلول ينقسم إلى قسمين:

الأول: حلول خاص ومعناه أن اللاهوت حل في الناسوت كما يحل الماء في الكوب وهذا قول النسطورية من النصارى وغلاة الرافضة الذين يقولون إن الله حل في علي بن أبي طالب.

الثاني: حلول عام: ومعناه أن الله بذاته في كل مكان وهذا هو قول الجهمية.

العوامل المعينة على الثبات على الدين

الحلقة الثانية

كتبه:

محمد بن أحمد سيد أحمد

المدرس بدار الحديث بمكة

إن الثبات على الدين مطلب عظيم ورئيس لكل مسلم صادق يحب الله ورسوله، ويريد سلوك طريق الحق والاستقامة بعزيمة ورشد، والأمة الإسلامية اليوم أحوج ما تكون إلى الثبات خاصة وهي تموج بأنواع الفتن والمغريات، وأصناف الشهوات والشبهات، فضلاً عن تداعي الأمم عليها، وطمع الأعداء فيها، ومما لا شك فيه أن حاجة المسلم اليوم لعوامل الثبات، أعظم من حاجة أخيه المسلم إلى ذلك في القرون السالفة، وذلك لكثرة الفساد وندرة الإخوان، وضعف اليقين، وقلة الناصح والناصر.

وأهم عوامل الثبات ما يلي:

١ ـ صحة الإيمان وصلابة الدين:

إن الإيمان له قوته الإيجابية التي تعمل على تنمية المشاعر وتنقيتها، وإن القوة الإيمانية تترك بصماتها على الفرد والجماعة، وعلى سائر اتجاهات السلوك الإنساني، ومتى صح الإيمان ورسخت حلاوته في قلب المؤمن، رزقه الله الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد، وكلما كان قويًا في إيمانه، صلبًا في دينه، صادقًا مع ربه، كلما ازداد ثباته، وقويت عزيمته، قال الله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾.

وقال ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير». [رواه مسلم].

٢ ـ تدبر القرآن والعمل به:

إن من حق القرآن علينا أن نتدبر معانيه، وأن نفهم مقاصده، ذلك أن القرآن هو كتاب الله الخالد، ونعمته السابغة، وحكمته الدامغة، وهو ينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، أنزله الله على رسوله ﷺ لنقرأه تدبرًا، ونتأمله تبصرًا، ونسعد به تذكرًا، ونجتهد في إقامة أوامره ونواهيه، ولما ازدادت البصائر فيه تأملاً زادها هداية وثباتًا وتبصرًا، قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾، وقال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾. لقد أنزل الله القرآن ليكون بشيرًا ونذيرًا، وهاديًا إلى ما ارتضى له من دينه، وسلطانًا أوضح به وجهة دينه، ودليلاً على وحدانيته، ومرشدًا إلى معرفة عزته وجبروته، ومفصحًا عن صفات جلاله وعلو شأنه وعظيم سلطانه، وحجة لرسوله محمد ﷺ الذي أرسله به على صدقه، وبينه على أنه أمينه على وحيه وصادع بأمره، فما أشرفه من كتاب، يتضمن صدق متحمله، بيّن فيه سبحانه، أن حجته كافية هادية، لا يحتاج مع وضوحها إلى بينة

تعـدوها، أو حـجـة تتلوها، والقـرآن الكريم وسيلة التثبيت الأولى للمؤمنين، ولقد أنزل الله القرآن العظيم منجـمًا مفصـلاً وجعل الغاية منه هي التثبيت لقلب النبي ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾.

إن القرآن الكريم أعظم مصدر للتثبيت لأنه يزرع الإيمان ويقوي الصلة بالله، كما أنه العاصم من الفتن وكيد الشيطان وغوايته، كما أنه يزود المسلم بالتصورات والقيم الصحيحة التي يستطيع على ضوئها أن يُقوِّم الأوضاع التي من حوله، تقويمًا صحيحًا، كما أن القرآن بما اشتمل عليه من أحكام وأصول وقواعد وحكم وقصص، يرد على الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام من الكفار والمنافقين ومن سار على دربهم.

فإن عُلم ذلك كله لزم على من أراد الثبات في الدنيا والآخرة، والفوز بالنعيم المُقيم، أن يتخذ القرآن سميره وأنيسه وأن يجعله رفيقه وجليسه على مر الليالي، وتتابع الأيام، فلا يقتصر على النظر فيه بل يحمل نفسه على العمل به.

٣- الصبر والتصبر عند نزول المصائب والمحن:

إن الصبر من أَجَلِّ صفات النفس المؤمنة وأعلاها قدرًا، وأعظمها أثرًا، قال ﷺ: «الصبر ضياء». رواه مسلم.

فالصبر من أعظم الأمور والعوامل المعينة على الثبات، ذلك أن الصبر هو حبس النفس عن الجزع، واللسان عن الشكوى، والجوارح عن التشويش، فالصبر إذن أعظم مظهر من مظاهر الثبات، ولقد أمرنا الله تعالى به، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

قال ابن تيمية رحمه الله: قد ذكر الله الصبر في كتابه في أكثر من تسعين موضعًا، وقرنه بالصلاة في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾، وجعل الإمامة في الدين موروثة عن الصبر واليقين بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾، فإن الدين كله علمٌ بالحق وعَمَل به، والعمل به لا بد فيه من الصبر، بل وطلب علْمِهِ يحتاج إلى الصبر، كما قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: «عليكم بالعلم، فإن طلبه لله عبادة، ومعرفته خشية، والبحث عنه جهاد».

فجعل البحث عن العلم من الجهاد، ولا بد في الجهاد من الصبر، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

فلا يُنال الهدى إلا بالعلم، ولا يُنال الرشد إلا بالصبر.

٤- اليقين، والرضا بقضاء الله وقدره:

اليقين والرضا بقضاء الله وقدره من أعظم الأسباب المعينة على الثبات، ذلك أن اليقين هو جوهر الإيمان، وفي الأثر «بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين»، وإن مما لا شك فيه أن اليقين والرضا والتسليم لقضاء الله وقدره من أقوى الدعائم والعوامل المعينة على الثبات.

٥- التزام شرع الله والعمل الصالح:

قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾.

قال قتادة: «أما في الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح، وفي الآخرة (في القبر)، وكذلك روي عن غير واحد من السلف، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ أي على الحق، ولذلك كان ﷺ يثابر على الأعمال الصالحة، وكان أحب العمل إليه أدومه وإن قل، وكان أصحابه إذا عملوا عملاً أثبتوه، وكانت عائشة رضي الله عنها إذا عملت العمل لزمته، وكان ﷺ يقول: «من ثابر على اثنتي عشرة ركعة وجبت له الجنة». وفي الحديث القدسي: «ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه...» الحديث رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

٦- الذكر والدعاء:

سبق أن تحدثت عن الدعاء وفضله وأثره في المقال السابق، أما الذكر فهو حياة القلوب، وشفاء الصدور، وجلاء الأحزان، وأُنس المستوحشين، وأمان الخائفين، فضله عظيم، وأثره عميم، وهو من أعظم أسباب التثبيت في الجهاد وغيره، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

وكان رسول الله ﷺ يسأل ربه عند التضرع إليه في سجوده، قائلاً: «يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك». رواه الترمذي وهو في صحيح الجامع للألباني.

٧- الاستعانة بالله وحسن الظن به:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وتحت قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾، كنز عظيم من وُفق لمظنته وأحسن استخراجه واقتناءه، وأنفق منه فقد غنم، ومن حُرمه، فقد حُرم، وذلك أن العبد لن يستغني عن تثبيت الله له طرفة عين، فإن لم يثبته زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانها، وقد قال الله تعالى لأكرم خلقه: ﴿وَلَوْلاَ أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً﴾ فكان أثبت الناس قلبًا وأثبتهم قولاً، والقول الثابت هو قول الحق والصدق، وهو ضد القول الباطل الكاذب، فالقول نوعان: ثابت له حقيقة، وباطل لا حقيقة له، وأثبت القول كلمة التوحيد بلوازمها، فهي أعظم ما يثبت الله به عبده في الدنيا والآخرة، فما مُنح عبد منحة أعظم من منحة القول الثابت، ويجد أهل القول الثابت ثمرته أحوج ما يكون إليه في قبورهم ويوم معادهم. [أعلام الموقعين (١/٧٦)].

وبهذا يتضح أن الاستعانة بالله وحسن الظن به وإخلاص العبادة له، من أقوى الأسباب المعينة على تثبيت الله لعبده بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

٨- الصحبة الصالحة والأخوة الصادقة:

إن الصحبة الصالحة والأخوة الصادقة من أعظم الأمور المساعدة على الثبات على الدين والاستقامة عليه، إذ المؤمن الصادق يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وهو مرآة له، كما جاء في الحديث، وقد أمر النبي ﷺ بمصاحبة الطيبين وتخير الصالحين، فقال: «لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي». [حسنه الألباني بصحيح الجامع]. وهذا يدل على أثر الأخوة الصالحة في الثبات.

والله ولي التوفيق.

واحة التوحيد..

من نور كتاب الله

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور:٥٥].

من هدي رسول الله ﷺ

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم»

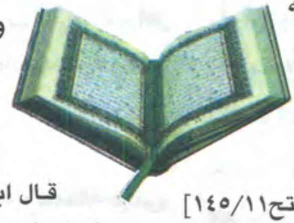

[الفتح١١/١٤٥]

من أقوال السلف

عن مسروق قال: كفى بالمرء علمًا أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلا أن يعجب بعلمه».

[سنن الدارمي ١/١٠٤]

عن سفيان قال: ما ازداد عبد بالله علمًا فازداد في الدنيا رغبة، إلا ازداد عن الله بعدًا. [الدارمي ١/١١٩]

وعن سفيان قال: من ترأس سريعًا أضر بكثير من العلم، ومن لم يترأس طلب وطلب حتى يبلغ.

[الدارمي ١/١٤٧]

حكم ومواعظ

قال حاتم الأصم: ليس في القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علمًا فعملوا به ولم يعمل هو به وفازوا بسببه وهلك.

[تنبيه الغافلين ٩١]

قال ابن الأثير: من ترك الدنيا وأبغضها أحب لقاء الله، ومن آثرها وركن إليها كره لقاء الله، لأنه إنما يصل إليه بالموت.

[فتح الباري ١١/٣٦٧]

وقال ابن القيم: على قدر رغبة العبد في الدنيا ورضاه بها يكون تثاقله عن طاعة الله وطلب الآخرة.

[الفوائد ١٣٢]

من وصايا السلف

عن أبي قلابة قال: قال ابن مسعود: عليكم بالعلم قبل أن يقبض، وقبضه أن يُذهبُ بأصحابه، عليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إليه أو يفتقر إلى ما عنده، إنكم ستجدون أقوامًا يزعمون أنهم يدعونكم إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم. فعليكم بالعلم، وإياكم والتبدع وإياكم والتنطع وإياكم والتعمق وعليكم بالعتيق.

[الدارمي ١/٦٦]

من درر العلماء

قال ابن القيم رحمه الله: مثل المشرك كمن استعمله سيده في داره فكان يعمل ويؤدي خراجه وعمله إلى غير سيده فالمشرك يعمل لغير الله تعالى في دار الله ويتقرب إلى عدو الله بنعم الله تعالى.

[الوابل الصيب ٣٢]

كيف تعرف العالم؟

عن الحسن قال: أدركت الناس والناسك إذا نسك لم يعرف من قبل منطقه ولكن يعرف من قبل علمه، فذلك العلم النافع.

[الدارمي ١/١٤٥]

من صدق السلف

عن عبد الرحمن بن بشر قال: كنا عند خباب بن الأرت فاجتمع عليه أصحابه وهو ساكت فقيل له: ألا تحدث أصحابك قال: أخاف أن أقول لهم ما لا أفعل.

[الدارمي ١/١٤٤]

وصايا لطلاب العلم

احذر المعاصي فإن سبيل العلم الذي لا سبيل

إليه غيره هو الإقلاع عن الذنوب والمعاصي والإقبال على الله بالكلية.

قال ابن القيم: للمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلم إلا الله.

فمنها: حرمان العلم، فإن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئ ذلك النور.

[الجواب الكافي ٥٤]

تأويلات فاسدة

قولهم في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]، أي بالإنعام عليهم والغفران لهم وهذا تأويل فاسد لأنه تفسير للملزوم باللازم والصحيح اثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه من المحبة على ما يليق بجلاله.

وهذا هو معنى اللازم والآية تبين أن محبة الله ورضوانه وثوابه لا تنال إلا بتصديق ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة فمن فعل ذلك أحبه الله وجازاه جزاء المحبين وغفر له ذنوبه وستر عليه عيوبه وهذا هو معنى الملزوم من الصفة، فإن أصحاب التأويل الفاسد أثبتوا الملزوم ونفوا اللازم.

من بلاغة العرب

من سنن العرب الإضمار إيثارا للتخفيف وثقةً بفهم المخاطب فمن ذلك «أن» وحذفها من مكانها كما قال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الروم:٢٤]، أي «أن» يريكم البرق.

[ص٢٢٣ فقه اللغة]

الوجه الآخر للصوفية

قال العلامة عبد الرحمن الوكيل: بل إنهم لا يتورعون عن اتهام القرآن بأنه يمثل عقيدة الشرك، فيقول التلمساني: «القرآن كله شرك ليس فيه توحيد، وإنما التوحيد في كلامنا» ويقول متعمدًا تكذيب القرآن، فيبيح ما حرمه إذ يقول «البنت والأم والأجنبية شيء واحد ليس في ذلك حرام علينا إنما هؤلاء المحجوبون قالوا حرام فقلنا حرام عليكم».

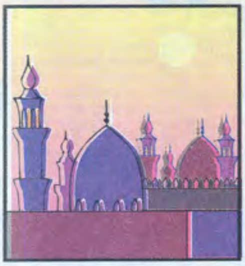

فقال رحمه الله معلقًا على هذا الغثيان: هذه النظريات الصوفية إنما هي أمشاج من الأساطير الهندية القديمة والأفلاطونية المحدثة والغنوصية.

[من ضلالات الصوفية ص٨١]

طرائف ونوادر

جاء رجل إلى الشعبي يومًا فقال: إني تزوجت امرأة ووجدتها عرجاء فهل لي أن أردها؟ فقال له: إن كنت تريد أن تسابق بها فردها!

من أخطاء المصلين

اعتقاد بعض الناس أن الوضوء يكون ثلاثا ثلاثا فقط ولا يجزئ من توضأ أو غسل أعضاءه مرة مرة أو مرتين مرتين فهذا اعتقاد خاطئ، قال البخاري في صحيحه: باب الوضوء مرة مرة، باب الوضوء مرتين مرتين، باب الوضوء ثلاثا ثلاثا وأورد تحت هذه الأبواب أحاديث تبين أن الرسول ﷺ توضأ أو غسل أعضاءه مرة مرة ومرتين مرتين وثلاثًا ثلاثًا.

تناقضات في حياتنا

نرى من ينكر على من قصر ثوبه فوق الكعبين سنة عن النبي ﷺ.

ولا نرى من ينكر على من خرج علينا بلباس يظهر عورة الفخذين مقلدًا لأهل المجون.

الحوقلة مفهومها،

إن هذه الكلمة العظيمة التي سبق ذكر بعض فضائلها وبيان شيء من ميزاتها ومحاسنها ذاتُ دلالات عميقة ومعانٍ جليلة تشهد بحسنها، وتدل على كمالها وعظم شأنها وكثرة عوائدها وفوائدها.

وإنَّ أحسن ما يستعان به على فهم دلالاتها ومعرفة معانيها ومقاصدها قولُ النبي ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه: «ألا أدلك على كلمة من تحت العرش من كنز الجنة؟ تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فيقول الله عز وجل: أسلم عبدي واستسلم».

« الحلقة الثالثة »

إعداد: أ. د: عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر
الأستاذ بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

وقد روى ابن عبد الهادي في كتابه «فضل لا حول ولا قوة إلا بالله» بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «من قال: بسم الله فقد ذكر الله، ومن قال: الحمد لله فقد شكر الله، ومن قال: الله أكبر فقد عظّم الله، ومن قال: لا إله إلا الله فقد وحّد الله، ومن قال: لا حول ولا قوة إلا بالله فقد أسلم واستسلم وكان له بها كنزٌ من كنوز الجنة».

وروي عن ابن عمر أنه قال: «سبحان الله هي صلاة الخلائق، والحمد لله كلمة الشكر، ولا إله إلا الله كلمة الإخلاص، والله أكبر تملأ ما بين السماء والأرض، وإذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، قال الله تعالى: أسلم واستسلم».

فهي كلمة إسلام واستسلام، وتفويض وتبرؤ من الحول والقوة إلا بالله، وأنَّ العبد لا يملك من أمره شيئًا، وليس له حيلةٌ في دفع شر، ولا قوةٌ في جلب خير إلا بإرادة الله تعالى، فلا تحوّل للعبد من معصية إلى طاعة، ولا من مرض إلى صحة، ولا من وهن إلى قوة، ولا من نقصان إلى كمال وزيادة إلا بالله، ولا قوة له على القيام بشأن من شئونه، أو تحقيق هدف من أهدافه أو غاية من غاياته إلاَّ بالله العظيم، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فأزمَّةُ الأمور بيده سبحانه، وأمور الخلائق معقودةٌ بقضائه وقدره، يصرفها كيف يشاء، ويقضي فيها بما يريد، ولا رادّ لقضائه، ولا معقّب لحكمه، فما شاء كان كما شاء في الوقت الذي يشاء، على الوجه الذي يشاء من غير زيادة ولا نقصان، ولا تقدّم ولا تأخر، له الخلق والأمر، وله الملك، وله الدنيا والآخرة، وله النعمة والفضل، وله الثناء الحسن، شملت قدرته على كلِّ شيء، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٢]، ومن كان هذا شأنه فإنَّ الواجب الإسلامُ لألوهيته والاستسلام لعظمته، وتفويض الأمور كلها إليه، والتبرؤ من الحول والقوة إلاَّ به، ولهذا تعبّد الله عباده بذكره بهذه الكلمة العظيمة التي هي باب عظيم من أبواب الجنة وكنز من كنوزها.

فهي كلمة عظيمةٌ تعني الإخلاص لله وحده بالاستعانة، كما أنَّ كلمة التوحيد لا إله إلا الله تعني الإخلاص لله بالعبادة، فلا تتحقق لا إله إلا الله إلا بإخلاص العبادة كلها لله، ولا تتحقق لا حول ولا قوة إلا بالله إلا بإخلاص الاستعانة كلها لله، وقد جمع الله بين هذين الأمرين في سورة الفاتحة أفضل سورة في القرآن، وذلك في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فالأول تبرؤ من الشرك، والثاني تبرؤٌ من الحول والقوة، وتفويضٌ إلى الله عز وجل، والعبادة متعلقة بألوهية

وفضائلها ودلالتها العقدية

الله سبحانه، والاستعانة متعلقة بربوبيته، العبادة غاية، والاستعانة وسيلة، فلا سبيل إلى تحقيق تلك الغاية العظيمة إلا بهذه الوسيلة: الاستعانة بالله الذي لا حول ولا قوة إلاَّ به.

ويمكن أن نلخص الدلالات العقدية لهذه الكلمة العظيمة في النقاط التالية:

١- أنها كلمة استعانة بالله العظيم، فحريٌّ بقائلها والمحافظ عليها أن يظفر بعون الله له وتوفيقه وتسديده.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله» يوجب الإعانة، ولهذا سنها النبي ﷺ إذا قال المؤذن: حيّ على الصلاة، فيقول المجيب: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإذا قال: حي على الفلاح، قال المجيب: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وقال المؤمن لصاحبه: ﴿ وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾. [الكهف: ٣٩]، ولهذا يؤمر بهذا من يخاف العين على شيء، فقوله: ما شاء الله، تقديره: ما شاء الله كان، فلا يأمن، بل يؤمن بالقدر ويقول: لا قوة إلا بالله، وفي حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه المتفق عليه، أنَّ النبي ﷺ قال: «هي كنز من كنوز الجنة». والكنز مال مجتمع لا يحتاج إلى جمع، وذلك أنها تتضمن التوكل والافتقار إلى الله تعالى.

ومعلوم أنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله وقدرته، وأن الخلق ليس منهم شيء إلا ما أحدثه الله فيهم، فإذا انقطع طلب القلب للمعونة منهم وطلبها من الله فقد طلبها من خالقها الذي لا يأتي بها إلا هو، قال تعالى: ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [فاطر: ٢]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ [يونس: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنعام: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ﴾ [الزمر: ٣٨].

وقال صاحب «يس»: ﴿ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لاَ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلاَ يُنْقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ ﴾ [يس: ٢٣، ٢٤]. ولهذا يأمر الله بالتوكل عليه وحده في غير موضع، وفي الأثر: من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده». [مجموع الفتاوى (١٣/٣٢١- ٣٢٢)].

ولهذا ورد في السنة مشروعية قول هذه الكلمة عند خروج المسلم من منزله لقضاء أموره الدينية أو الدنيوية استعانةً بالله واعتمادًا عليه، فعن أنس رضي الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال- يعني إذا خرج من بيته-: بسم الله، توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله تعالى، يقال له: كفيت، ووقيت، وهديت، وتنحى عنه الشيطان، فيقول لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي». [رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح].

ولهذا أيضًا جعل بعض أهل العلم هذه الكلمة في مستهل مؤلفاتهم ومفتتحها طلبًا للإعانة من الله عز وجل كما في مقدمة صريح السنة للطبري، والأربعين في دلائل التوحيد للهروي، والصفات للدارقطني وغيرها.

٢- تضمنها الإقرار بربوبية الله وأنه وحده الخالق لهذا العالم، المدبر لشئونه، المتصرف فيه بحكمته ومشيئته، لا يقع شيءٌ في هذا العالم من حركة أو سكون، أو خفض أو رفع، أو عز أو ذل، أو عطاء أو منع إلا بإذنه، يفعل ما يشاء ولا يُمانع ولا يُغالب، بل قهر كلَّ شيء، ودان له كلُّ شيء، كما قال تعالى: ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [فاطر: ٢]، وقال تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾[يونس: ٣]، فالقائل لتلك الكلمة مقرٌّ بهذا، مذعن به، معترف أنَّ كلها

بيد ربّه ومليكه وخالقه لا قدرة له على شيء ولا حول ولا قوة إلا بإذن ربه ومولاه، وبتوفيق سيّده ومليكه، ولهذا إليه يلجأ، وبه يستعين، وعليه يعتمد في كلِّ أحواله وفي جميع شئونه.

٣- تضمنها الإقرار بأسماء الله وصفاته، إذ أن قائلها- ولا بد- مقرٌّ بأنَّ المدعو المقصود الملتجأ إليه بهذه الكلمة غنيٌّ بذاته، وكلُّ ما سواه فقيرٌ إليه، قائم بذاته وكلُّ ما سواه لا يقوم إلاّ به، قديرٌ لذاته وكلُّ ما سواه عاجزٌ لا قدرة له إلا بما أقدره، متصف بجميع صفات الكمال ونعوت العظمة والجلال، وكلُّ ما سواه ملازمه النقص، وليس الكمال المطلق إلاّ له سبحانه وتعالى، فلعظمة أسمائه وكمال نعوته وصفاته استحق أن يقصد وحده، وأن لا يلجأ إلا إليه.

٤- وفي هذا دلالةٌ وإشارة إلى التلازم بين التوحيد العلمي بقسميه: توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، والتوحيد العملي الذي هو توحيد الألوهية.

فإن العبد إذا أقرّ بربوبية الله وكماله في أسمائه وصفاته فإنَّ ذلك يستلزم أن لا يلجأ إلا إليه، ولا يقصد أحدًا سواه، وإن لم يفعل ذلك فإنَّه لا يكون موحدًا بمجرد إقراره بربوبية الله وإيمانه بأسماء الله وصفاته، فلو أقرّ بما يستحقه الرب تعالى من الصفات، ونزهه عن كلّ ما ينزه عنه، وأقرّ بأنه وحده خالق كلّ شيء لم يكن من أهل الإيمان والتوحيد ما لم يشهد أنه لا إله إلا الله، ويعمل ولا يتوكل إلاّ عليه، ولا يعمل إلا لأجله.

٥- تضمنها الإقرار بألوهية الله، وأنه وحده المعبود بحق ولا معبود بحق سواه، وذلك في قوله: «إلا بالله».

والله؛ معناه كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين». وقد جمع رضي الله عنه في التفسير بين ذكر الألوهية وهي الوصف المتعلق بالله من هذا الاسم فهو سبحانه المألوه المعبود المرجو المطاع الذي لا يستحق العبادة أحدٌ سواه، وبين وصف العبد وهو العبودية؛ إذ إنَّ عباد الله هم الذين يعبدونه ويألهونه ويقومون بطاعته وحده لا شريك له.

ثم إنَّ هذا الاسم مستلزمٌ لجميع أسماء الله الحسنى دالٌ عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين له، ولهذا كان من خصائص هذا الاسم أنَّ الله جل وعلا يضيف سائر الأسماء إليه كقوله: ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ويقال: العزيز الحكيم الرحيم من أسماء الله، ولا يقال الله من أسماء الرحمن، فلهذا الاسم شأنه ومكانته وخصائصه.

قال ابن منده رحمه الله: «فاسم الله معرفة بذاته، منع الله عز وجل خلقه أن يتسمى به أحدٌ من خلقه، أو يدعى باسمه إله من دونه، جعله أول الإيمان، وعمود الإسلام، وكلمة الحق والإخلاص، ومخالفة الأضداد والإشراك فيه، يحتجز القائل من القتل، وبه تفتتح الفرائض وتنعقد الأيمان، ويستعاذ من الشيطان، وباسمه يفتتح ويختم الأشياء، تبارك اسمه ولا إله غيره».

٦- تضمنها الإيمان بقضاء الله وقدره، ولهذا ترجم لها الإمام البخاري في كتاب القدر في صحيحه بقوله: «باب: لا حول ولا قوة إلا بالله»، ودلالة هذه الكلمة على الإيمان بالقدر ظاهرة؛ إذ فيها تسليم العبد واستسلامه وتبرؤه من الحول والقوة، وأنَّ الأمور إنما تقع بقضاء الله وقدره.

قال ابن بطال: «كان عليه الصلاة والسلام معلمًا لأمته، فلا يراهم على حالة من خير إلا أحبّ لهم الزيادة، فأحبّ للذين رفعوا أصواتهم بكلمة الإخلاص والتكبير أن يضيفوا إليها التبري من الحول والقوة فيجمعوا بين التوحيد والإيمان بالقدر».

٧- أن فيها معنى الدعاء الذي هو روح العبادة ولبها، وقد ذكر الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الدعوات من صحيحه بابًا بعنوان: «باب قول لا حول ولا قوة إلا بالله»، فهي من جملة الأدعية النبوية النافعة المشتملة على معاني الخير وجوامع الكلم.

٨- أن فيها الإيمان بمشيئة الله النافذة، وأن ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن، وأن مشيئة العبد تحت مشيئة الله، كما قال الله تعالى: ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩]، فلا قدرة للعبد على القيام بما يشاء من الخير وما يريده من المصالح إلاَّ أن يشاء الله، قال

الله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩].

٩- أن فيها الإقرار من العبد بفقره واحتياجه إلى ربه في جميع أحواله وكافة شئونه، كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

وقد بيّن الله سبحانه في هذه الآية الكريمة أن فقر العباد إليه أمر ذاتي لهم لا ينفك عنهم، وهو ثابتٌ لهم لذواتهم وحقائقهم من كلّ وجه، لا غنى لهم عن ربهم وسيدهم طرفة عين ولا أقلّ من ذلك.

قال ابن القيم رحمه الله: «اعلم أنّ كلّ حي- سوى الله- فهو فقيرٌ إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، والمنفعة للحي من جنس النعيم واللذة، والمضرة من جنس الألم والعذاب، فلابد من أمرين: أحدهما هو المطلوب المقصود المحبوب الذي ينتفع به ويتلذذ به، والثاني هو المعين الموصل المحصل لذلك المقصود والمانع لحصول المكروه والدافع له بعد وقوعه.

فههنا أربعة أشياء: أمر محبوب مطلوب الوجود، والثاني أمر مكروه مطلوب العدم، والثالث الوسيلة إلى حصول المحبوب، والرابع الوسيلة إلى دفع المكروه، فهذه الأمور الأربعة ضرورية للعبد، بل ولكلّ حي سوى الله، لا يقوم صلاحه إلاّ بها.

إذا عرف هذا فالله سبحانه هو المطلوب المعبود المحبوب وحده لا شريك له، وهو وحده المعين للعبد على حصول مطلوبه، فلا معبود سواه ولا معين على المطلوب غيره، وما سواه هو المكروه المطلوب بعده، وهو المعين على دفعه، فهو سبحانه الجامع للأمور الأربعة دون ما سواه، وهذا معنى قول العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فإنّ هذه العبادة تتضمن المقصود المطلوب على أكمل الوجوه، والمستعان هو الذي يستعان به على حصول المطلوب، ودفع المكروه، فالأول من مقتضى ألوهيته، والثاني من مقتضى ربوبيته».

١٠- أهمية الارتباط بالله في جميع الأمور الدينية والدنيوية، وإذا صح هذا الأمر من العبد قوي يقينه وزاد إخلاصه وعظمت ثقته بالله، والمؤمن الصادق يصحبه هذا الأمر في كل أحواله وجميع شئونه، فهو في صلاته وصيامه وحجه وبره وغير ذلك من أمور دينه يطلب الحول والقوة على تحقيق ذلك والقيام به وتتميمه من الله تعالى، وفي جلبه للرزق وطلبه للمباح وغير ذلك من أمور دنياه يطلب الحول والقوة على تحصيل ذلك ونيله من الله تبارك وتعالى، فهو معتمد على الله في جلب حوائجه وحظوظه الدنيوية ودفع مكروهاته ومصائبه، ومعتمد على الله في حصول ما يحبّه هو ويرضاه من الإيمان واليقين والصلاة والصيام والحج والجهاد والدعوة وغير ذلك.

١١- أنّ فيها ردًا على القدرية النفاة، الذين ينفون قدرة الله ويجعلون العبد هو الخالق لفعل نفسه دون أن يكون لله عليه قدرة، فقول العبد: «لا حول ولا قوة إلا بالله» فيه إثبات القدرة والمشيئة لله، وأنّ حول العبد وقوته إنما يكون بالله، ولهذا كانت هذه الكلمة متضمنة الردّ على القدرية النافين لذلك.

قال ابن بطال: «هذا بابٌ جليل في الردّ على القدرية، وذلك أنّ معنى لا حول ولا قوة إلا بالله، أي: يخلق الله له الحول والقوّة وهي القدرة على فعله للطاعة أو المعصية كما ورد عنه عليه الصلاة والسلام أن الباري تعالى خالق لحول العبد وقدرته على مقدوره، وإذا كان خالقًا للقدرة فلا شك أنه خالق للشيء المقدور».

١٢- أن فيها ردًا على الجبرية النافين لمشيئة العبد وقدرته القائلين بأنّ الإنسان مجبور على فعل نفسه، وأنه كالورقة في مهب الريح لا حول له ولا قدرة، فقوله: «لا حول ولا قوة إلا بالله» متضمن إبطال ذلك وتكذيبه، وذلك لتضمنها إثبات القوة والحول للعبد، وأنّ ذلك إنما يقع له بمشيئة الله وقدرته: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩].

فهذه بعض الدلالات العقدية لهذه الكلمة العظيمة، وشيء من معانيها الجليلة الدالة على رفعة مكانتها وعظم شأنها وكثرة فوائدها وعوائدها. والله تعالى أعلم.

وقفات مع القصة في كتاب الله

القسم الثاني (٦)

قصة البقرة

بقلم/ عبد الرازق السيد عيد

الحمد لله الذي وسع كل شيء رحمة وعلمًا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. وبعد..

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:٦٧-٧٤].

أخي الكريم نواصل معك اليوم تلك الأمور العجيبة والغريبة التي وقعت من بني إسرائيل، وهذه قصة البقرة المشهورة والتي سُمِّيت بها أطول سورة وأعظم سورة في كتاب الله بعد فاتحة الكتاب. وقد سُميت السورة بهذا الاسم لورود هذه القصة مفصلَّة فيها ولم ترد في سورة غيرها. وهذه القصة على اختصارها ووجازتها فيها مجالات شتى للنظر والاعتبار من جانب دلالتها على طبيعة بني إسرائيل وجبلتهم الموروثة والموسومة بالتعنّت والتلكؤ في الاستجابة لأمر الله ورسوله، وتمحّل الحيل والمعاذير ومن جانب أخر تشير القصة إلى قدرة الله - سبحانه وتعالى - وحكمته،

وحقيقة البعث، وطبيعة الموت والحياة، وأمور أخرى كثيرة، وهي تشير أيضا من جانب إلى عظمة الأداء القرآني في بناء القصة. وتفصيل ذلك يحتاج منا إلى وقفات متعددة نوردها بعون الله فيما يلي:

أولا: نقل ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره عن جماعة من السلف قالوا: «كان رجل من بني إسرائيل عقيمًا لا يولد له، وكان له مال كثير وكان ابن أخيه وارثه فقتله ثم احتمله ليلا فوضعه على باب رجل مِنْهم ثم أصبح يدعيه عليهم حتى تسلحوا وركب بعضهم على بعض. فقال ذوو الرأي منهم والنهى: علام يقتل بعضكم بعضا وهذا رسول الله فيكم؟ فأتوا موسى (عليه السلام) فذكروا ذلك له، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فلو لم يعترضوا لأجزأت عنهم أدنى بقرة ولكنهم شدَّدوا فشُدِّد عليهم حتى انتهوا إلى البقرة التي أُمروا بذبحها فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها فقال والله لا أنقصها عن ملء جلدها ذهبا فأخذوها فذبحوها فضربوه ببعضها فقام (أي القتيل) فقالوا: من قتلك؟ قال: ابن أخي هذا ثم مال ميتًا فلم يعط من ماله شيئًا فلم يورَّث قاتلَ بعد» اهـ.

ثانيًا: قال ابن القيم - رحمه الله - «وفي هذه القصة أنواع من العبر:

منها: أن الإخبار بها من أعلام نبوّة رسول الله ﷺ.

ومنها: الدلالة على نبوَّة موسى عليه السلام وأنه رسول رب العالمين.

ومنها: الدلالة على صحة ما اتفقت عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم: من معاد الأبدان وقيام الموتى من قبورهم.

ومنها: إثبات وجود الله سبحانه وتعالى وأنه الفاعل المختار، العالم بكل شيء، القادر على كل شيء، العدْل الذي لا يجوز عليه الظلم والجور، الحكيم الذي لا يجوز عليه العبث.

ومنها: إقامة أنواع الآيات والبراهين والحجج على عباده بالطُّرُق المتنوعة زيادةً في هدي المهتدي، وإعذارا وإنذارا للضلال.

ومنها: أنه لا ينبغي مقابلة أمر الله بالتعنت، وكثرة الأسئلة، بل يُبادرُ إلى الامتثال، فإنَّهم لما أمروا أن يذبحوا بقرة كان الواجب عليهم أن يبادروا إلى الامتثال بذبح أي بقرة اتفقت، فإن ذلك إجمال ليس فيه إشكال، بل هو بمنزله قوله: أعتق رقبة، وأطعم مسكينا، وصم يومًا، ونحو ذلك، ولذلك غلط من احتج بالآية على جواز تأخير البيان عن وقت الحاجة؛ فإن الآية غنية عن البيان المفصل، مبينه بنفسها، ولكن لما تعنتوا وشددوا، شدّد الله عليهم.

ومنها: أنه لا يجوز مقابلة أمْر اللهِ - الذي لا يعلم المأمور به وجه الحكمة فيه - بالإنكار. وذلك نوع من الكفر. فإن القوم لما قال لهم نبيهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ قابلوا هذا الأمر بقولهم: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ فلما لم يعلموا وجه الحكمة في ارتباط الأمر بما سألوه عنه قالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ وهذا من غاية جهلهم بالله ورسوله. فإنه أخبرهم عن أمر الله لهم بذلك، ولم يكن موسى هو الآمر به. ولو كان هو الآمر به لم يجز لمن آمن بالرسول أن يقابل أمره بذلك. فلما قال لهم: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ وتيقنوا أن الله سبحانه أمره بذلك أخذوا في التعنت بسؤالهم عن عينها ولونها، فلما أُخبروا عن

ذلك رجعوا إلى السؤال مرّة ثالثة عن عينها. فلما تعينت لهم ولم يبق إشكال توقفوا في الامتثال. ولم يكادوا يفعلون.

ومنها: أن من أقبح جهلهم وظلمهم: قولهم لنبيهم: ﴿الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ فإن أرادوا بذلك: أنك لم تأت بالحق قبل ذلك في أمر البقرة، فتلك ردة وكفر ظاهر.

وإن أرادوا: أنك الآن بينت لنا البيان التام في تعيين البقرة المأمور بذبحها، فذلك جهل ظاهر. فإن البيان قد حصل بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ فقد جاء موسى عليه السلام بالحق من أول مرة.

ومنها: الإخبار عن قساوة قلوب هذه الأمة وغِلظِها، وعدم تمكن الإيمان منها. وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: «إن القوم بعد أن أحيا الله تعالى لهم ميتهم فأخبرهم بقاتله أنكروا قتله، وقالوا: والله ما قتلناه، بعد أن رأوا الآيات والحق، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾.

أي لا تنقُص قسوتُها عن قسْوة الحجارة، بل إنْ لم تزد على قسوة الحجارة، لم تكن دونها وهذا المعنى أحسن وألطف وأدق من قول من جعل (أو) في هذا الموضع بمعنى (بل).

ومنها: مقابلة الظالم الباغي بنقيض قصده شرعًا وقدرا.

فإن القاتل قصده ميراث المقتول، ودفَع القتلَ عن نفسه ففضحه الله وهتك ستره، وحرمه ميراث المقتول.

ومنها: أن بني إسرائيل فُتنوا بالبقر مرتين من بين سائر الدواب. فتنوا بعبادة العجل، وفُتنوا بالأمر بذبح البقرة. والظاهر: أنَّ هذه القصة كانت بعد قصة العجل ففي الأمر بذبح البقرة تنبيه للقوم على أن هذا النوع من الحيوانات قد سخَّره الله لنا فأي عقل هذا الذي يتخذه إلها معبودًا من دون الله (سبحانه وتعالى)؟ وهذا البقر لا يمتنع من الذبح والحرث والسقي فكيف نتخذه إلهًا؟ اهـ.

وهذه الفوائد والعبر التي ذكرها ابن القيم ـ رحمه الله ـ ونقلناها عنه استوعبت جوانب الحديث عن قدرة الله وحكمته وما انطوت عليه جبلة بني إسرائيل الفاسدة طبعا وخلقا وقبل ذلك وبعده فسدت اعتقادا.

كما أشارت إلى جوانب فقهية وأحكام شرعية.

أما ما يختص بالبناء البلاغي للقصة والحديث عنه فغنيٌّ عن البيان أن القرآن كلام الله سبحانه وتعالى وكما أن الله سبحانه ليس كمثله شيء فإن كلام الله وهو القرآن ليس كمثله كلام وينطبق ذلك على ما ساقه الله من أمثال وقصص، قال الله سبحانه: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾، فقصص القرآن أحسن القصص في تفصيله وفي إجماله، وأحسن القصص في جمال الأداء وتناسقه وأحسن القصص في سمو هدفه وغايته.

وهذه القصة القصيرة يلتقي فيها جمال الأداء التعبيري بحكمة السياق الموضوعية في أسلوب بليغ موجز.

إلى لقاء نستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.

والله من وراء القصد.

الأسرة المسلمة وحسن الجوار

بقلم

أحمد عزالدين محمد

قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦].

إن هذه الوصايا التي اشتملت عليها هذه الآية الكريمة من أهم الدعائم الراسخة للبنيان الاجتماعي السليم المتوازن الذي يحفظ على أهله أمنهم واستقرارهم. وقد جاء تأكيد الوصية بالإحسان إلى الجار في سياق الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك والوصية برعاية حق الوالدين والقرابة.

والجيرة في الإسلام أمانة ينهض بتبعاتها أصحاب العزائم القوية والأخلاق الكريمة فمن حفظها حفظهُ الله تعالى بإحسانه وفضله. ومن ضيعها كان محلا لسخط الله عز وجل وغضبه. إن الإسلام بمبادئه الكريمة وقيمه الثابتة وفضائله السامية يسعى لتحسين العلاقات الاجتماعية وإلى إقامة الروابط بين الناس على أساس تبادل الثقة والاحترام وطيب العشرة وحسن المودة ورعاية المصالح وصيانة الحقوق وغير ذلك من الآداب والواجبات التي تحقق للناس التعاون على البر والخير.. والاستقرار والأمن.

ثبت في الصحيحين عن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهم قالا: قال رسول الله ﷺ: «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».

فانظر أخي متابعة أمين الوحي جبريل عليه السلام. وهو يوصي رسول الله ﷺ بالجار، إذ الجار أقرب الناس إلى جاره وأسرعهم إلى نجدته. وأكثرهم معايشة بحكم الجوار. وإذا استقرت أحوال الجيران على المودة ومنع كل أسباب الشقاق، واعتبر كل منهم نفسه حارسًا تقيًا أمينًا لجاره، يرعى حقوقه في حضوره، ويحفظه في غيبته، ويدفع عنه وعن أهله أسباب الأذى والشر، إذا تحقق ذلك شعرَ الجميع بالرضا وبسكون الخواطر. وسعوا في مصالحهم دون أن تشغلهم مشاكل، أو تُزعجهم خصومات أو تربصات، ولأن الإحسان إلى الجار من أعظم الآداب والفضائل التي حث عليها الدين الإسلامي لذا ربط الرسول عليه الصلاة والسلام بين الإيمان بالله واليوم الآخر والإحسان إلى الجار فقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره.. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت» [أخرجه مسلم].

وفي الحديث إشارة إلى تأكيد الروابط الاجتماعية وتحسينها بإكرام الضيف وحفظ اللسان وإمساكه إلا عن الخير فلا يصدر عنه أذى لجار ولا لغير جار.

وانظر إلى حرص الإسلام على تنمية العلاقات الإنسانية على أقوم طريق وأهدى سبيل بالتوجيه إلى مكارم الأخلاق والنهي عن أضدادها، كما في قوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره» [متفق عليه]، والإيذاء ضد الإحسان.. ولا شك أن ربط هذه الآداب بالإيمان معناه أن تنبعث إنبعاثًا ذاتيًا وتحت رقابة وازع هذبه الدين وصقله اليقين، فلا يصنع المرءُ في الخفاء أمرًا يخشى منه في العلانية ولا يسعى في شر لأحد بمكر ودهاء بحيث لا يؤخذ عليه في ظاهر الأمر، ذلك لأن المؤمن الحق رقيبه إيمانه. فإيمانه يراقب أعماله وأقواله في سره وعلانيته. إن الجيرة أمنٌ وسلامة، وجاء نفي كمال الإيمان عمن يبادر جيرانه بالشر ويمكر بهم مكر السوء ويسعى في إزعاجهم ببوائقه ودواهيه وبذاءاتِه، ويعيشون في جواره في توجُس وَهَمّ وتوقع لصدور شر منه أو أذى، وتدبر قوله ﷺ: «والله لا يؤمن. والله لا يؤمن. والله لا يؤمن» قيل من يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه» [متفق عليه]. أي لا يأمن دواهيه وشروره. فانظر يرحمك الله إلى تكرار القسم وما يفيده من تأكيد فظاعة عمل من يؤذي جيرانه مما يجعلهم غير مطمئنين لهذه الجيرة التي لا تخشى الله عز وجل ولا ترعى حق الجوار. وكذلك جاء في لفظ عند الإمام مسلم، قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة مَن لا يأمن جاره بوائقه» وهذا نذير عظيم وتخويف جسيم من إيصال الشر والسوء إلى الجيران، إذ الجار له حقوق سواء كان مسلمًا أو غير مسلم. قريبًا أو أجنبيًا ومن حقوق الجار إلقاء السلام عليه، وزيارته في مرضه. ومواساته في شدائده، وكذلك نصره ضد من يظلمه وإيناسه بالهدية. وتوجيه الأولاد بحسن معاملة أولاده، ومن حق الجار أيضًا حفظه إذا غاب. والتغاضي عن هفوته إذا هفا، وحضور جنازته، والأخذ بيده إن كان ضعيفًا ومعاونته إن كان فقيرًا، وإدخال السرور عليه وأهله في حدود الآداب المرعية والتوجيهات الشرعية التي ثمرتها السعادة في الدنيا والآخرة. ولقد كان الهادي البشير عليه الصلاة والسلام يوسع على أهله في عيد الأضحى ويسعى للتوسعة على جيرانه، وإن الهدية وإن صغرت تُزيل من القلوب شوائب الغيظ والحقد والحسد. وكذلك من توجيهه ﷺ للنساء قوله: «لا تحقرن جارةٌ لجارتها ولو فِرْسِنَ شاةٍ» والفرسن مثل لأدنى ما تطيب به النفوس من الهدية وهو القطعة من الكراع وهو عظم قليل اللحم من أسفل ساق البهيمة، فالجارة تهدي جارتها ما تقدر عليه ولو كان شيئًا يسيرًا وهذا يجعل من أسباب التواد والتحاب وتأليف القلوب بين الجيران والأرحام ما يدخل به السرور إلى نفوسهم ويزيل كل أسباب الشحناء والبغضاء بفضل الله ورحمته. ومثل ذلك ما جاء في قول أبي ذر رضي الله عنه: «أوصاني خليلي ﷺ بثلاث، منها: إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ثم أنظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف» [أخرجه مسلم، والبخاري في الأدب المفرد]. وتأمل قوله: «فأكثر ماءها» ولم يقل فأكثر لحمها لحض النفوس على التراحم ولو بالقليل وبما لا ثمن له. وهناك توجيه منهجي سامٍ أثنى فيه الرسول ﷺ على الصاحب الذي يحسن الصحبة ويعين على الاستقامةِ، وعلى الجار المخلص الأمين الدءوب على إيصال الخير - فقد أخرج الترمذي وحَسَّنَهُ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرُ الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه. وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره»، وفيه توجيه شامل لمكارم الأخلاق والتواصي بالحق. والعمل لتحقيق التوافق الاجتماعي المؤسَّس على الفضائل العالية التي جاءنا بها دين الله عز وجل لخير الدنيا والآخرة.

والله هو الهادي إلى سواء السبيل.

أطفال المسلمين، كيف

الحلقة الخامسة عشرة

إعداد: جمال عبد الرحمن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

في هذا العدد نتعرف على هدي رسول الله ﷺ في إعطاء الأطفال حقوقهم المعنوية والعينية، وكذلك الآداب التي يؤدبهم بها كلما كبِروا.

(٦٤) ويجعلهم ﷺ أمراء في الصلاة وفي السفر كحق لهم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إذا سافرتم فليؤمكم أقرؤكم، وإن كان أصغركم وإذا أمَّكم فهو أميركم»(١).

وله شاهد صحيح عن عمرو بن سلمة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ليؤمكم أكثركم قراءة للقرآن»(٢). وكان عمرو حينها أصغر قارئ (ست سنوات).

بل ويحذر النبي ﷺ من إهمال هذا الحق للصغير أو تجاوزه فيقول: «من أمَّ قومًا وفيهم من هو أقرأ لكتاب اللَّه منه لم يزل في سفال إلى يوم القيامة»(٣).

وقد امتثل أصحاب النبي ﷺ لتقرير هذا الحق للصغير، فعن عمرو بن سلمة قال: وبادر أبي قومي بإسلامهم، فلما قَدِمَ قال: جئتكم واللَّه من عند النبي ﷺ حقًا، فقال: «صلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلوا كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآنًا»، فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنًا منِّي، لِما كنت أتلقى من الركبان، فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين، وكانت عليَّ بُردة، كنت إذا سجدتُ تقلصت عني، فقالت امرأة من الحي: غطوا إست قارئكم، فقطعوا لي قميصًا، فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص(٤).

وقد صحت الأحاديث بإمامة الأقرأ والأحفظ لكتاب الله - فهذا حقه- قال ﷺ: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواءً فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواءً فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواءً فأكبرهم سنًا، ولا يُؤَم الرجل في سلطانه ولا يُجلس على تكرمته في بيته إلا بإذنه» (٥).

(٦٥) ويأمر ﷺ أهلهم بإطعامهم وكسوتهم مما يطعمون ويكتسون:

عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: خرجت مع أبي وأنا غلام شاب، فتلقى شيخًا (عليه بردة ومعافري وعلى غلامه بردة ومعافري). قلت: أي عم، ما يمنعك أن تعطي غلامك هذه النَّمِرة وتأخذ البردة فيكون عليك بردتان وعليه نمرة؟ فأقبل على أبي، فقال: ابنك هذا؟ قال: نعم، قال: فمسح على رأسي وقال: بارك الله فيك، أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تكتسون» يا ابن أخي، ذهاب متاع الدنيا أحب إليّ من أن يأخذ من متاع الآخرة، قلت: أي أبتاه!! مَن هذا الرجل؟ قال: أبو اليسر [كعب] بن عمرو(٦).

فانظر أخي كيف يحرص المختار ﷺ على أن تشارك ولدك طعامك وكسوتك، فلا يظهر منك اهتمامك بنفسك وبمظهرك ثم تهمل ابنك وابنتك، وانظر إلى تحري السلف تنفيذ ما أوصى به النبي ﷺ، لذلك كان أبناؤهم خير خلف لخير سلف، فأين أبناؤنا من أبناء السلف؟!

(٦٦) ويدعوهم ﷺ للنوم المبكر بعد صلاة العشاء:

كان النبي ﷺ يؤخر صلاة العشاء هو وأصحابه، فكان عمر رضي الله عنه يُعَجِّلها لصبيانه ونسائهليناموا بعدها مباشرة، فإذا رقدوا ذهب إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: الصلاة يا رسول اللَّه، رقد النساء والصبيان، فخرج ﷺ ورأسه يقطر (من الوضوء) ويقول: «لولا أن أشق على أمتي أو على الناس لأمرتهم بالصلاة هذه الساعة»(٧).

ومن هَدْي النبي ﷺ في صلاة العشاء: ما قاله أبو برزة الأسلمي رضي الله عنه (أن رسول اللَّه ﷺ كان يستحب أن يؤخر العشاء التي تدعونها العتمة، وكان يكره النوم قبلها والحديث بعدها...)(٨). فكم من الشباب يقضون الليل سهرًا لا يعلم به إلا اللَّه، ثم ينامون قبيل الفجر كالجيف ولا يستيقظون إلا ظهرًا؟ فنهارهم ليل، وليلهم ويل، واللَّه المستعان.

(٦٧) ويفرق ﷺ بينهم في المضاجع من سن العاشرة:

في سن العاشرة تكون غريزة الطفل في طريقها للنمو والظهور، فلا بد من الاحتياط بسد ذريعة الفساد، وطريق الانحراف والانجراف، فلا ينام الصبيان تحت لحاف واحد، وإنما كل واحد بلحافه، وهذا هو مقتضى التفريق وطاعة النبي ﷺ كما قال: «مُرُوا أبناءكم بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها لعشر سنين، وفرِّقوا بينهم في المضاجع، وإذا أنكح أحدكم عبده أو أجيره فلا ينظر إلى شيء من عورته، فإن ما أسفل من سُرَّته إلى ركبته من عورته»(٩). أي: إذا زوج أحدكم خادمه وهي الخادمة فلا ينظر إلى شيء من عورتها؛ لأنها حرمت عليه، بعد أن كانت حلالاً له بملك اليمين.

(٦٨) ويمنعهم ﷺ النوم على البطن:

عن يعيش بن طخفة الغفاري عن أبيه رضي اللَّه عنهم قال: بينما أنا مضطجع في المسجد على بطني إذا رجل يحركني برجله، فقال: «إن هذه ضجعة يبغضها

رباهم النبي الأمين ﷺ ؟

اللَّه». قال: فنظرت، فإذا رسول الله ﷺ. وفي رواية: «هذه ضجعة أهل النار» (١٠). ولا شك أن النوم على البطن فيه احتكاك مذموم، يوقظ الشهوة ويحرك الغريزة.

(٦٩) ويعوِّدهم ﷺ غض البصر وحفظ العورة:

عن الفضل بن العباس رضي اللَّهُ عنهما قال: كنت رديف رسول اللَّه ﷺ من جمع (مزدلفة) إلى منى (أي أركب خلفه) فبينا هو يسير إذ عرض له أعرابي مُردفًا ابنة له جميلة، وكان يسايره، قال: فكنت أنظر إليها، فنظر إليَّ رسول اللَّه ﷺ فقلب وجهي عن وجهها، ثم أعدتُ النظر فقلب وجهي عن وجهها حتى فعل ذلك ثلاثًا، وأنا لا أنتهي، فلم يزل يلبي حتى رمى جمرة العقبة(١١). وفي رواية لابن خزيمة: أنه قال له ﷺ: «ابن أخي، إن هذا يوم مَن غض فيه بصره وحفظ فرجه ولسانه غُفِر له».

(٧٠) ولم يضرب ﷺ صبيًا ولا طفلاً قط، لكنه ﷺ يبين أسس الضرب وقواعده:

عن أبي أمامة قال: أقبل النبي ﷺ معه غلامان، فوهب صلوات الله وسلامه عليه أحدهما لعلي، وقال: «لا تضربه فإني نهيت عن ضرب أهل الصلاة وإني رأيته يصلي منذ أقبلنا ...»(١٢).

إن الغرض من العقوبة في التربية الإسلامية إنما هو الإرشاد والإصلاح، لا الانتقام والتشفِّي. ولهذا ينبغي أن يراعَي طبيعة الطفل ومزاجه قبل الإقدام على معاقبته، ويُشجع على أن يشترك بنفسه في تفَهُّم وإصلاح الخطأ الذي أخطأه، وتُغفر أخطاؤه وهفواته بعد إصلاحها.

مضار القسوة في الضرب:

يذكر ابن خلدون رحمه اللَّه في مقدمته ما يفيد أنه ضد استعمال الشدة والقسوة في تربية الأطفال، يقول: «مَن كان مُربَّاه (أي تربيته) بالعسف والقهر من المتعلمين والمماليك أو الخدم؛ سطا (أي سيطر) به القهر، وضيق القهر على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعاه إلى الكسل، وحمله على الكذب والخُبْث خوفًا من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلَّمه القهر المكر والخديعة، فصارت له هذه عادةً وخُلُقًا، وفسدت معاني الإنسانية التي له». اهـ.

(كما يجب ألا يمس نوع العقوبة كرامة الطفل، وألا يكون فيها إهانة له، كأن يُضرب أمام الناس، أو يُعلن عندهم أنه سرق أو نحو هذا، فإن للطفل شخصية يجب أن تُراعى، وكرامة يجب أن تُصان. كثيرًا ما أخطأ المربون الغرض من العقوبة فضلوا السبيل، وظنوا مخلصين أن الشدة على البنين والبنات؛ قد تأتي في ظنهم بخير ما يرجون، وذلك لقلة يقظتهم للحقيقة المؤلمة، فقد أدت الشدة إلى كثير من البلايا التي ولَّدت بعض المشاكل الاجتماعية التي يتألم منها المجتمع الإنساني، فجعلت الطفل كائنًا ميت النفس، ضعيف الإرادة نحيف الجسم، مضطرب الأعصاب خائر العزيمة، قليل النشاط والحيوية. وإن كثرة الضرب وشدته لا تزيد الطفل إلا بلادة وجمودًا، على أن الطفل إذا وجد بجانبه من يبصِّره بالواجب بالحكمة والموعظة الحسنة، ويستميله دائمًا إلى العمل؛ لم تكن هناك حاجة إلى هذه العقوبات القاسية، وإذا كان الغرض من العقوبة الإصلاح فالضرب ليس بوسيلة للإصلاح، وإن التفاهم على انفراد يؤدي إلى نتيجة أحسن من نتيجة السوط والعصا، ومن الخطأ أن تهدد الطفل بعقاب لن تقوم بتنفيذه، أو لا يمكنك تنفيذه، فقد يعود الطفل إلى الخطأ؛ فتزداد الخطورة والمشكلة).

أقول: وإن هدي النبي ﷺ في ذلك هو أكمل الهَدي، ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ [سورة النور: ٥٤].

فعن عائشة رضي اللَّهُ عنها قالت: «ما ضرب رسول اللَّه ﷺ شيئًا قط بيده ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل اللَّه»(١٣).

وهذا شيء لا يفعله إلا أولو العزم وأولو الصبر، فلكَي يكظم الإنسان غيظه عن ولده أو خادمه أو امرأته، فهذا لا يقدر عليه إلا الأقوياء الأشداء الذين قال عنهم النبي ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة(١٤)، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»(١٥).

أما عن قواعد الضرب فهي:

١- ألا يكون قبل سن العاشرة، وهذا في شأن الصلاة التي هي الركن الأعظم بعد الشهادتين، فلا شك أن ما هو دون الصلاة من الأمور الحياتية والسلوكية والتربوية فلا يُضرب الطفل عليها قبل ذلك السن، إلا ضربًا هو أيضًا دون الضرب من أجل الصلاة، من باب التهذيب حتى لا يترك الطفل يميع إلى سن العاشرة ويراعى الاعتدال قدر الإمكان.

٢- أن يقلل منه ما أمكن، بحيث يكون كالملح في الطعام، وهو قليل، لكنه يصلح الطعام، فإذا كثُر أفسد، وكذلك فإن كثرة الضرب تقلل من هيبته ومفعوله، وتعوِّد الطفل عليه ثم على البلادة، قال ﷺ: «لا يُجلَد فوق عشر جلدات إلا في حد من حدود اللَّه»(١٦).

وعليه فإن أقصى الضرب عشر ضربات، وهذا في حق البالغ المكلف؛ فما بالنا بمن لم يبلغ سن التكليف؟ لا شك أنه لن يُضرَب إلى العشرة، وقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه اللَّه يكتب إلى الأمصار: لا يَقرن المعلم (معلم القرآن) فوق ثلاث، فإنها مخافة للطفل(١٧). والضرب هنا يسمى تأديبًا وليس عقوبة.

ورأى القاضي شريح ألاَّ يُضرب الصبي على القرآن

إلا ثلاثًا، كما غطَّ جبريل عليه السلام محمدًا ﷺ ثلاثًا.

٣- علماء التفسير على أن الضرب بالسوط ينبغي أن يصيب الجلد فقط، ولا يعدوه إلى اللحم، فكل ضرب يقطع اللحم أو ينزع الجلد، أو يجرح اللحم فهو مخالف لحكم القرآن، والمقصود من قوله: «فَاجْلِدُواْ» وهو ظاهر البشرة من جسم الإنسان. (وهو أن يُجلد، أي يُضرب على جلده مائة جلدة عقوبة لما صنع)(١٨).

وهذا العدد بخصوص البالغين عند إقامة الحد عليهم.

٤- ألا يكون السوط غليظًا أو به عُقَد لورود النهي عن ذلك. فعن زيد بن أسلم رضي الله عنه أن رجلاً اعترف على نفسه بالزنى على عهد رسول الله ﷺ، فدعا له رسول الله ﷺ بسوط، فأُتي بسوط مكسور فقال: «فوق هذا»، فأُتِيَ بسوط جديد لم تُقطع ثمرته (عقدة طرفه)، فقال: «دون هذا»، فأُتي بسوط قد رُكبَ به (ذهبت عقدة طرفه)، ولان (أي: صار لينًا)، فأمر به رسول الله ﷺ فجُلدَ، ثم قال ﷺ: «أيها الناس، قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله، من أصاب من هذه القاذورات شيئًا فليستتر بستر الله، فإنه من يُبْدِ لنا صفحته(١٩) نُقِمْ عليه كتاب الله»(٢٠) (أي نقيم عليه الحد).

٥- ألاَّ يرفع الضارب يده رفعًا عاليًا كما قال عمر رضي الله عنه للضارب: «لا ترفع إبطك» (٢١).

والمقصود في هذا ألاَّ يكون الضرب مبرِّحًا أي قويًا وشديدًا؛ لنهي النبي ﷺ عن ذلك كما سيأتي.

(٧١) ويأمر ﷺ بوقف الضرب عن الطفل إذا استغاث بالله:

بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم. الله جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه؛ ينبغي على عباده إذا ذُكر اسم الله عندهم أن يخشعوا ويهجعوا، ويستحيوا ويرجعوا، فإذا ضُرب الطفل فاستغاث بالله، فينبغي لمؤدبه ومربيه أن يستجيب، وأن يوقف الضرب؛ تقديسًا لاسم الله وتعظيمًا لشأنه جل وعلا، ورحمةً بالطفل، قال الرسول ﷺ: «من استعاذكم بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فأعطوه»(٢٢).

قال المباركفوري: قال الطيبي: هذا إذا كان الضرب لتأديبه، وأما إذا كان حدًا فلا، وكذا إذا استغاث مكرًا. انتهى(٢٣).

ولا عبرة بقول أهل الجدل أن الطفل سيتخذها حيلة ومخرجًا من العقوبة في كل مرة. لأن البركة والتوفيق والهداية كلها في طاعة النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]. وصحيح أنه يمكن أن يحتال بذلك بعض الأطفال، لكن مَن الذي أوْصلهم إلى هذه الدرجة واضطرهم إلى الدهاء والمكر؟ فلا بد من التراجع من المربِّي، ومراجعة الأخطاء، والانطلاق من قاعدة شرعية تربوية علمية صحيحة؛ حتى لا يحدث التعارض والتصادم في الجانب التربوي.

وأعود فأقول: إنه لا ينبغي الإكثار من العقوبة لما يترتب على ذلك من الآثار السيئة «فالشدة المستمرة مع الأطفال مضرة بهم جسميًا، وخلقيًا، ووجدانيًا، ولا بد إذًا من الأخذ بالحكمة القائلة: (الوقاية خير من العلاج)، فالمربي الحازم هو الذي يبعد الطفل عن البيئة التي تشجعه على الأخطاء...»(٢٤).

والله من وراء القصد.

الهوامش:

---

(١) رواه البزار وإسناده حسن. قاله الهيثمي في مجمع الزوائد (ج٢ ص٦٤)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (ح ٥٣٤).

(٢) صحيح الجامع (ح ٥٣٥٠).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط، وفيه الهيثم بن عقاب الأزدي: لا يعرف. قلت: ذكره ابن حبان في الثقات، قاله الهيثمي في مجمع الزوائد (ج٢ ح ٦٤)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (ح ٥٤٧٨).

(٤) صحيح البخاري (ج ٤ ص ١٥٦٤).

(٥) صحيح سنن الترمذي للألباني (ح ٢٣٥).

(٦) صحيح. الأدب المفرد للألباني (ح٥٦٦). ومعنى نمرة: أي بُردة من صوف، ومعنى معافري أي: بُرد (ثوب) نسبة إلى قبيلة معافر باليمن.

(٧) البخاري (٦٦٩٨).

(٨) البخاري (٥١٤)، ومسلم (١٠٢٦).

(٩) صحيح سنن أبي داود للألباني (ح ٤٦٦، ٤٦٧)، وأحمد (٦٤٦٧).

(١٠) أبو داود (ح ٤٣٨٣) بإسناد صحيح. وصحيح الأدب المفرد للألباني (ح ٩٠٥، ص ٤٦٢).

(١١) صحيح أبي داود (ص ٣٤٠)، وأصل الحديث في البخاري ومسلم.

(١٢) (حسن). صحيح الأدب المفرد للألباني (ح١٢١).

(١٣) مسلم، كتاب الفضائل (٤٢٦٩).

(١٤) الذي يصرع الناس بقوته.

(١٥) البخاري (٥٦٤٩)، ومسلم (٤٧٢٤).

(١٦) البخاري (٦٣٤٢).

(١٧) رواه ابن أبي الدنيا كتاب العيال (٥٣١/١).

(١٨) محاسن التأويل للقاسمي (سورة النور ص ٢٤٩).

(١٩) يعترف على نفسه بما استتر من أمره، ومعنى القاذورات هنا: الفواحش.

(٢٠) صحيح الجامع (ح ١٤٩) عن ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: قال المصطفى ﷺ بعد رجم الأسلمي: «اجتنبوا هذه القاذروات التي نهى الله تعالى عنها، فمن ألمَّ بشيء منها فليستتر بستر الله وليتب إلى الله، فإنه من يُبدِ لنا صفحته، نُقِمْ عليه كتاب الله».

(٢١) التمهيد لابن عبد البر (ج ٥ ص ٣٣٤)، سنن البيهقي الكبرى (ج٨ ص ٣٢٦)، ومصنف ابن أبي شيبة (ج ٥ ص ٥٢٩).

(٢٢) (صحيح) انظر صحيح الجامع (ح ٦٠٢١) عن ابن عمر.

(٢٣) تحفة الأحوذي (ج ٦، ص ٦٨).

(٢٤) كتاب: الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام ص ١٦٤، ينقله عن كتاب: الطفل في الشريعة الإسلامية لمحمد الصالح.

رسالة إلى أهل الثغر للأشعري

إعداد / علاء خضر

المؤلف: علي بن إسماعيل بن أبي بشر بن سالم ابن أبي موسى، الشهير بأبي الحسن الأشعري.

كان إمامًا في الكلام والفقه والحديث وكان شافعي المذهب في الفروع، أخذ عن أبي خليفة الجمحي وزكريا الساجي وأبي علي الجبائي الذي أخذ عنه الاعتزال ثم رجع عنه إلى طريقة عبد الله بن سعيد بن كلاب والذي تنسب إليه الكلابية وهي عقيدة الأشاعرة الآن ثم تاب ورجع عن مذهب الكلابية إلى مذهب السلف الصالح ثم أخذ يصنف الكتب في الرد على الملاحدة وغيرهم من المعتزلة والرافضة والجهمية والخوارج ناصرًا لمذهب السلف.

أخذ عنه أبو الحسن الباهلي وأبو الحسن الكرماني وغيرهم، قال عنه الفقيه أبو بكر الصيرفي: كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى نشأ الأشعري فحجرهم في أقماع السمسم.

وفاته: مات ببغداد سنة ٣٢٤هـ.

موضوع الكتاب:

بيان عقيدة أهل السنة وما أجمعوا عليه من أصول الدين.

سبب تأليف الكتاب:

ذكر المؤلف رحمه الله سبب تأليفه لهذه الرسالة وهي أن أهل الثغر(١) أرسلوا إليه يسألونه عن مذهب أهل الحق في أصول الدين وما كان عليه سلف هذه الأمة، فكتب لهم هذا الكتاب مجيبًا لهم عما سألوه.

أهمية الكتاب:

تبرز أهمية هذا الكتاب في كونه يمثل فترة معينة تعبر عن عقيدة الإمام الأشعري بعد رجوعه إلى مذهب السلف والذي مات عليه، وذكره لإجماع السلف على أصول الدين وإثباته لحقيقة صفات الرب عز وجل كما جاء ذكرها في القرآن والسنة بدون تأويل أو تعطيل أو تكييف أو تمثيل.

نقد الكتاب:

رغم تأكد صحة رجوع الإمام الأشعري رحمه الله إلى عقيدة السلف الصالح كما نرى في هذه الرسالة، وتجلت أكثر في كتابي الإبانة ومقالات الإسلاميين إلا أنه كان عنده بعض الرواسب من مذهبه القديم وظهرت في هذه الرسالة عند تأويله صفتي الرضا والغضب ـ وميوله في هذه الرسالة إلى النزعة الكلامية التي ورثها من المعتزلة ـ واستعماله لبعض الألفاظ التي لم يستعملها السلف لا إثباتا ولا نفيا.

نسخ الكتاب:

نسخة بدراسة وتحقيق د. عبد الله شاكر الجنيدي من علماء الجماعة نال بها درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

ونسخة بدراسة وتحقيق د . محمد السيد الجليند والشيخ / رجائى بن محمد المصرى.

أهم مباحث الكتاب:

بدأ المؤلف كتابه بمقدمة طويلة ومهمة تناول فيها حال العالم قبل البعثة المحمدية من الضياع والتشتت والطغيان وكيف أن في هذا الوقت من الضياع والتشتت بعث النبى ﷺ، فدعا الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له وأمرهم برفض كل ما كانوا عليه من سائر الأباطيل والمعبودات الباطلة مع تنبيهه ﷺ على فسادها، ودلالته ﷺ على صدقه فيما يخبرهم به عن ربهم بالآيات الباهرة والمعجزات القاهرة موضحًا لهم سائر ما تعبدهم الله عز وجل به من شريعته.

وقد أكد الله دلالة نبوته بما كان من آياته ﷺ التي نقض بها عادتهم كإطعامه الجماعة الكثيرة من المجاعة الشديدة من الطعام اليسير وسقيهم الماء

في العطش الشديد من الماء اليسير وهو ينبع من بين أصابعه حتى رووا وكلامه الذئب، وإخبار الشاة إياه أنها مسمومة وانشقاق القمر، ثم دعاهم ﷺ إلى معرفة الله عز وجل إلى وطاعته فيما كلف تبليغه إليهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النور:٥٤]، وعرفهم أمر الله تعالى بإبلاغه ذلك.... إلى أن قال: وأنه ﷺ لم يؤخر عنهم بيان شيء مما دعاهم إليه وقت تكليفه لهم.... إلى أن قال فأما ما دعاهم إليه ﷺ من معرفة حدوثهم، والمعرفة بمحدثهم، ومعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العليا وعدله وحكمته، فقد بين لهم وجوه الأدلة في جميعه، حتى ثلجت صدورهم به، وامتنعوا عن استئناف الأدلة فيه، وبلغوا جميع ما وقفوا عليه من ذلك، واتفق عليه من بعدهم... إلى أن قال: إذ كان من المستحيل أن يأتي بعد ذلك أحد بأهدى مما أتى.

وفي تأكيده على صحة طريقة الوحي والرسالة في معرفة الله وأسمائه وصفاته قال: واعلموا أرشدكم الله أن ما دل على صدق النبي ﷺ من المعجزات بعد تنبيهه لسائر المكلفين على حدوثهم ووجود المحدث لهم قد أوجب صحة إخباره، ودل على أن ما أتى به من الكتاب والسنة من عند الله عز وجل.

وإذا ثبت بالآيات صدقه، فقد علمه صحة كل ما أخبر به النبي ﷺ عنه وصارت أخباره عليه الصلاة والسلام أدلة على صحة سائر ما دعانا إليه من الأمور الغائبة عن حواسنا، وصار خبره عن ذلك سبيلا إلى إدراكه، وطريقا إلى العلم بحقيقته.

وفي نقده لطريقة المتكلمين والفلاسفة واستخدامهم لطرق وأساليب ومصطلحات مخالفة لطريق الوحي في معرفة الله عز وجل قال: وكان ما يستدل به من إخباره عليه الصلاة والسلام على ذلك أوضح دلالة من دلالة الأعراض التي اعتمد على الاستدلال بها الفلاسفة، ومن اتبعها من القدرية وأهل البدع المنحرفين عن الرسل عليهم السلام من قِبَل أن الأعراض لا يصح الاستدلال بها...

يشير الأشعرى رحمه اللع إلى العلة الحقيقية التى أوقعت الفلاسفة في الضلال المبين ألا وهي: إنكارهم الأنبياء وعدم الإيمان بهم في قوله: وإنما صار من أثبت حدوث العالم والمحدث له من الفلاسفة إلى الاستدلال بالأعراض والجواهر لدفعهم الرسل وإنكارهم لجواز مجيئهم.

ولكنه رد عليهم بقوله: وإذا كان العلم قد حصل لنا بجواز مجيئهم في العقول وغلط من دفع ذلك وبان صدقهم بالآيات التي ظهرت عليهم لم يسع لمن عرف من ذلك ما عرفه أن يعدل عن طرقهم إلى طرق من دفعهم وأحال مجيئهم.

ثم دخل رحمه الله في بيان إجماع السلف في أصول الدين في قوله: وإذ قد بان بما ذكرناه استقامة طرق استدلالهم وصحة معارفهم فلنذكر الآن ما أجمعوا عليه من الأصول.

وبدأ بقوله: باب ذكر ما أجمع عليه السلف من الأصول التي نبهوا بالأدلة عليها وأمروا في وقت النبي بها.

ومن هذه الإجماعات قوله:

وأجمعوا على أن صفاته عز وجل لا تشبه صفات المحدثين، كما أن نفسه لا تشبه أنفس المخلوقين، واستدلوا على ذلك بأنه لو لم يكن له عز وجل هذه الصفات لم يكن موصوفًا بشيء منها في الحقيقة من قبل. إن من ليس له حياة لا يكون حيا ومن لم يكن له علم لا يكون عالما في الحقيقة، ومن لم يكن له قدرة فليس بقادر في الحقيقة وكذلك الحال في سائر الصفات، ألا ترى من لم يكن له فعل لم يكن فاعلا في الحقيقة ومن لم يكن له إرادة لم يكن في الحقيقة مريدًا... إلى أن قال: فإذا كان الله عز وجل موصوفًا بجميع هذه الأوصاف في الحقيقة وجب إثبات الصفات التي أوجبت له في الحقيقة.

وفي إجماع آخر قال رحمه الله: وأجمعوا على أن أمره عز وجل وقوله غير محدث ولا مخلوق وقد دل الله تعالى على صحة ذلك بقوله ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤]، ففرق تعالى بين خلقه وأمره. وقال: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، فبين بذلك تعالى أن الأشياء المخلوقة تكون بعد أن لم تكن بقوله وإرادته.

وفي إجماع آخر قال: وأجمعوا على أنه عز وجل يسمع ويرى، وأن له تعالى (يدين مبسوطتين) وأن الأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ... إلى أن قال

وأن يديه تعالى غير نعمته وقد دل على ذلك تشريفه لآدم عليه السلام حيث خلقه بيده.

وقال أيضًا رحمه الله: وأجمعوا على أنه عز وجل يجيء يوم القيامة المَلَكُ صفا صفا بعرض الأمة وحسابها وعقابها وثوابها؛ فيغفر لمن يشاء من المذنبين، ويعذب منهم من يشاء.

وأنه عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا كما روي عن النبي ﷺ.

وفي إجماع آخر قال: وأنه تعالى فوق سماواته على عرشه دون أرض وقد دل على ذلك بقوله: ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ ﴾ [الملك:١٦]، وقال: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه:٥]، وليس استواؤه على العرش استيلاء كما قال أهل القدر: لأنه عز وجل لم يزل مستوليًا على كل شيء.

وأن له عز وجل كرسيا دون العرش، وقد دل الله سبحانه وتعالى على ذلك بقوله: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وقال أيضًا رحمه الله: وأجمعوا على وصف الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه ووصفه به نبيه من غير اعتراض فيه ولا تكييف له، وأن الإيمان به واجب وترك التكييف له لازم.

وأجمعوا على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وليس نقصانه عندنا شكاً فيما أمرنا بالتصديق به، ولا جهلاً به لأن ذلك كفر وإنما هو نقصان في مرتبة العلم...

وأجمعوا على أنه لا يقطع على أحد من عصاة أهل القبلة في غير البدع بالنار ولا على أحد من أهل الطاعة بالجنة إلا من قطع عليه رسول الله ﷺ بذلك وقد دل الله عز وجل على ذلك بقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء:٤٨]، ولا سبيل لأحد إلى معرفةِ مشيئته تعالى إلا بخبر.

وأجمعوا على أن عذاب القبر حق وأن الناس يفتنون في قبورهم بعد أن يحيون فيها ويسألون، فيثبت الله من أحب تثبيته... إلى أن قال: وإن الأجساد التي أطاعت وعصت هي التي تبعث يوم القيامة وكذلك الجلود التي كانت في الدنيا والألسنة والأيدي والأرجل هي التي تشهد عليهم يوم القيامة.

وأجمعوا على أن شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته وعلى أنه يخرج من النار قومًا من أمته بعد ما صاروا حمما فيطرحون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل.

وكذلك ما روي من خبر الدجال ونزول عيسى بن مريم وقتله الدجال وغير ذلك من سائر الآيات التي تواترت بين يدي الساعة من طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وغير ذلك مما نقله إلينا الثقات عن رسول الله ﷺ وعرفونا بصحته وفي إجماع آخر قال: وأجمعوا على التصديق بجميع ما جاء به رسول الله ﷺ في كتاب الله، وما ثبت به النقل من سائر سنته، ووجوب العمل بمحكمه والإقرار بنص مشكله ومتشابهه ورد كل ما لم يحط به علما بتفسيره إلى الله مع الإيمان بنصه، وأن ذلك لا يكون إلا فيما كلفوا الإيمان بجملته دون تفصيله.

وأجمعوا على السمع والطاعة لأئمة المسلمين وعلى أن كل من ولي شيئًا من أمورهم عن رضى أو غلبة وامتدت طاعته من بر وفاجر لا يلزمه الخروج عليهم بالسيف جار أو عدل وعلى أن يغزوا معهم العدو، ويحج معهم البيت وتدفع إليهم الصدقات إذا طلبوها ويصلى خلفهم الجمع والأعياد.

وأجمعوا على أن خير القرون قرن الصحابة، ثم الذين يلونهم على ما قال ﷺ: «خيركم قرني» وعلى أن خير الصحابة أهل بدر وخير أهل بدر العشرة وخير العشرة الأئمة الأربعة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله عليهم.

وأجمعوا على الكف عن ذكر الصحابة عليهم السلام إلا بخير ما يذكرون به، وعلى أنهم أحق أن ينشر محاسنهم ويلتمس لأفعالهم أفضل المخارج وأن نظن بهم أحسن الظن وأحسن المذاهب ممتثلين في ذلك لقول رسول الله ﷺ: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا» وقال أهل العلم معنى ذلك لا تذكروهم إلا بخير الذكر.

وفي الإجماع الأخير قال: أجمعوا على النصيحة للمسلمين والتولي بجماعتهم وعلى التوادد في الله والدعاء لأئمة المسلمين والتبري ممن ذم أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته وأزواجه وترك الاختلاط بهم والتبري منهم.

ثم ختم قائلا فهذه الأصول التي مضت الأسلاف عليها واتبعوا حكم الكتاب والسنة بها واقتدى بهم الخلف الصالح في مناقبها.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) هي مدينة على بحر طبرستان وتسمى بباب الأبواب.

أسئلة القراء عن الأحاديث

يجيب عليها:
أبو إسحاق الحويني

• يسأل القارئ أ ح م فيقول: سمعتُ بعض مشايخ الحديث يقول عن حديث: أن رجلا لدغ فشكا ذلك إلى النبي ﷺ فقال: «أما لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضرك». فقال هذا الشيخ إن هذا الحديث ضعيفٌ لاضطرابه، مع أنني بحثت عنه فوجدتهُ في «صحيح مسلم» فما قولكم في ذلك؟

- والجواب بحول الملك الوهاب:

أن هذا الحديث صحيح لا شك فيه، ولكن وقع في إسناده اختلافٌ، فلربما رآه ذلك الشيخ مؤثرًا، وقصد وجهًا واحدًا من الاختلاف، ومع ذلك فلا يُحكم على الحديث بالاضطراب إلا إذا تعذر الترجيح، وتساقطت كلُّ الوجوه جميعًا، أمَّا إذا رجحنا وجهًا على آخر، فيُنفى الاضطراب، ويُحكم للوجه الراجح علي ما سواه. فهذه هي القاعدةُ الكلية للحديث المضطرب. أمَّا الحديثُ: فأخرجه النسائيُّ في «اليوم والليلة» (٥٩٦)، والطحاويُّ في «المشكل» (٢٨) عن أسد بن موسى وأحمد في «المسند» (٤٤٨/٣ و٤٣٠/٥)، والطحاويُّ في «المشكل» (٢٥) عن وهب بن جرير. وأبو يعلي الخليلي في «الفوائد» (ق١١٢٨-٢) ومن طريقه الرافعي في «أخبار قزوين» (١٩٢/٢) عن سلْم بن سلام ثلاثتهم عن شعبة بن الحجاج، عن سهيل بن أبي صالح وأخيه - هو صالح - ابني أبي صالح، عن أبيهما، عن رجلٍ من أسلم أنه لُدغ، فشكا ذلك... الحديث. وقدً توبع شعبةُ. فأخرجه أبو داود(٣٨٩٨)، والنسائيُّ(٥٩٤)، والطحاويُّ(٢٦) عن زهير بن معاوية، والنسائيُّ أيضًا (٥٩٦،٥٩٣) والطحاويُّ (٢٩،٢٤) عن وهيب بن خالد وسفيان بن عيينة. والطحاويُّ أيضًا(٢٧) عن أبي عوانة. وعبد الرزاق في «المصنف» (١٩٨٣٤) عن معمر بن راشد. والنسائيُّ (٥٩٢)، والطحاويُّ (٣٣)، والبيهقيُّ في «الدعوات الكبير» (٣٦) عن سفيان الثوري كلهم عن سهيل بن أبي صالح بهذا الإسناد. وقد اختلف على سهيل في إسناده. فرواه الثوريُّ، وشعبة، ومعمر بن راشد، وأبو عوانة وسفيان بن عيينة، ووهيب بن خالد وزهير بن معاوية وكلهم من الثقات الأثبات عن سهيل فجعلوه من «مسند رجلٍ من أسلم» وخالفهم مالك فرواه عن سهيل بن أبي صالح، عن أبي هريرة أن رجلا من أسلم، قال: ما نمتُ هذه الليلة، لدغتني عقربٌ، فقال رسول الله ﷺ: «أما لو قلت حين أمسيت: أعوذُ بكلمات الله التامات من شرِّ ما خلق، لم يضرك إن شاء الله..» فجعله من «مسند أبي هريرة».

أخرجه أحمد (٣٧٥/٢) قال: حدثنا إسحاق - هو ابن عيسى -، والبخاريُّ في «خلق أفعال العباد» (٤٤٥) قال: حدثنا عبد الله بن يوسف وعبد الله بن مسلمة القعنبي والنسائيّ في «اليوم والليلة» (٥٨٩)، قال: أخبرنا قتيبة بن سعيد. والطحاويُّ في «المشكل» (١٦) عن عبد الله بن وهب، وابنُ حبان (١٠٢١) عن أحمد بن أبي بكر

والبيهقيُّ في «الأسماء» (٣٦٥) عن يحيى بن بكير، قالوا: ثنا مالك، وهو في «الموطأ» (١١/٩٥١/٢) عن سهيل بن أبي صالح بهذا. ولم يقع لفظُ المشيئة عند أحمد.

وزاد النسائيّ بعدها: «شيءٌ». وأفاد ابنُ عبد البر في «التمهيد» (٢٤١/٢١) أن ابن وهبٍ رواه عن مالكٍ بإسناده، إلا أنه لم يذكر المشيئة في آخره. وقد رواه الطحاوي عن ابن وهبٍ فذكرها والحمد لله.

وأخرجه أبو داود (٣٨٩٨) عن زهير بن معاوية. وابنُ ماجة (٣٥١٨)، والبخاريُّ في «خلق الأفعال» (٤٤٦)، والنسائيُّ في «العمل» (٥٩١)، وأبو يعلى (٦٦٨٨)، وابنُ حبان (١٠٣٦)، والطحاويُّ (٢١)، وابن حبان (١٠٢٢) عن جرير بن حازم. والنسائيُّ (٥٩٠)، وأحمد (٢٩٠/٢)، والطحاويُّ (٢٠) عن هشام بن حسَّان والبخاريُّ (٤٤٨،٤٤٩)، وابنُ عبد البر في «التمهيد» (٢٤١/٢١) عن سعيد بن عبد الرحمن الجُمحي. والنسائيُّ (٥٨٨)، والطحاويُّ (١٩) عن حماد بن زيدٍ. والطحاوي أيضًا عن الثوري وروح بن القاسم. والطبرانيُّ في «الأوسط» (٥٢٣) عن إبراهيم بن أبي بكر بن المنكدر كلهم عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة فذكره.

قُلْتُ: فقد رأيت - أراك الله الخير - أن جمعًا من الثقات رووه عن سهيل فجعلوه من «مسند أبي هريرة» فيحتمل أن يكون الوجهان جميعًا صحيحين ويقعُ لي أن الحديث من «مسند أبي هريرة» ، وهذا أولى أن يكون محفوظًا، لأن سهيلا كانت قد أصابته علَّةٌ، فنسى بعض حديثه فلعلَّه اضطرب في إسناد هذا الحديث ولم يُحكمْهُ. وقد رجَّح الطحاويُّ ذلك فقال في «المشكل»: «ولما وجدنا من رواية القعقاع عن أبي صالح، عن أبي هريرة لا عن رجلٍ من أسلم، قوي في قلوبنا أن أصل الحديث عن أبي صالح، عن أبي هريرة». انتهى. وحديثُ القعقاع بن حكيمٍ هذا: أخرجه مسلم في «الذكر والدعاء» (٢٠٨١/٤) قال: حدثنا هارون بن معروف وأبو الطاهر. وابنُ خزيمة في «التوحيد» (٤٠١،٣٩٩/١)، والطحاويُّ في «المشكل» (٣١) قالا: ثنا بحر بن نصر الخولاني، والطحاويُّ أيضًا (٣٠) قال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى. وابنُ حبان (١٠٢٠) عن حرملة بن يحيى قالوا: ثنا ابنُ وهبٍ، قال: أخبرنا عمرو بن الحارث، أن يزيد بن أبي حبيب والحارث بن يعقوب حدثاه عن يعقوب بن عبد الله الأشج قال: قال القعقاع بن حكيم، عن ذكوان أبي صالح، عن أبي هريرة.. فذكر مثله وقد رواه الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب على وجه اخر ذكرتُهُ في «تنبيه الهاجد إلى ما وقع من النظر في هذا الحديث، وقد تبيَّن بحمد الله تعالى أن الاضطراب منتفٍ عنه بالترجيح الذي ذكرناه، وليس ببعيدٍ تصحيحُ الوجهين جميعًا كما تقدَّم لا سيما وقد رواه الثوري وزهير بن معاوية عن سهيلٍ بالإسنادين جميعًا. والله سبحانه وتعالى أعلمُ.

• ويسأل القارئ: إبراهيم حمدي عبد الرحيم، الرياض محافظة كفر الشيخ عن صحة حديث «لا يتم بعد احتلام».

- والجواب بحول الملك الوهاب:

أما الحديث: فهو حديث «حسن» موقوفًا.

وقد ورد من حديث علي بن أبي طالبٍ، وجابر بن عبد الله، وأنس، وحنظلة بن حذيم رضي الله عنهم.

أولا: حديثُ علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه. وله عنه طرقٌ.

١ - عبد الله بن أبي أحمد، عنه.

أخرجه أبو داود (٢٨٧٣)، والطحاويُّ في «المشكل» (٢٨٠/١) قال: حدثنا عمر بن عبد العزيز بن عمران بن أيوب بن مقلاص الخزاعي. والطبرانيُّ في «الأوسط» (٢٩٠) قال:

حدثنا أحمد بن رشدين. وفي «الصغير» (٢٦٦) قال: حدثنا إسماعيل بن الحسن الخفَّاف المصريُّ، قالوا: حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا يحيى بن محمد المديني، حدثنا عبد الله بن خالد بن سعيد بن أبي مريم، عن أبيه، عن سعيد بن عبد الرحمن بن يزيد بن رقيش، أنه سمع شيوخًا من بني عمرو بن عوف، ومن خاله عبد الله بن أبي أحمد، قال: قال علي بن أبي طالب: حفظتُ عن رسول الله ﷺ، قال: «لا يُتم بعد احتلام، ولا صُمات يوم إلى الليل». لفظُ أبي داود. وزاد الآخران: «ولا طلاق إلا من بعد نكاح، ولا عتاق إلا من بعد ملكٍ، ولا وفاء لنذر في مَعصيةٍ، ولا وصال في الصيام». ووقع عند الطحاوي: «...ابن رقيش، عن عمومةٍ له من بني عمرو بن عوف». وهذا القدر من الإسناد لم يقع عند الطبرانيِّ.

قال الطبرانيُّ في «الأوسط»: «لا يروى هذا الحديث عن عبد الله بن أبي أحمد إلا بهذا الإسناد، تفرَّد به: أحمد بن صالح». وقال في «الصغير»: «لا نحفظ لعبد الله بن أبي أحمد حديثًا مسندًا غير هذا». انتهى. وهذا إسنادٌ ضعيفٌ. ويحيى بن محمد هو ابن عبد الله الجاري وثقه يحيى الزِّمِّي، والعجليُّ، وابن حبان في «الثقات» (٩/٢٥٥) وقال: «يغربُ». وقال ابن عدي: «ليس به بأس». لكن قال البخاريُّ: «يتكلمون فيه» وذكره ابنُ حبان في «المجروحين» (٣/١٣٠) وقال: «كان ممن ينفرد بأشياء لا يتابع عليها على قلة روايته، كأنه كان يهم كثيرًا، فمن هنا وقع المناكير في روايته، يجب التنكُّب عما انفرد به من الروايات، وإن احتج به محتجٌّ فيما وافق الثقات، لم أر به بأسًا». انتهى ولا أعلمُ أحدًا تابعه على هذه الرواية.

وعبد الله بن خالد وأبوه لا يُعرفان. والله أعلمُ.

٢ ـ النزال بن سبرة، عن علي بن أبي طالبٍ مرفوعًا: «لا رضاع بعد الفصال، ولا وصال، ولا يُتم بعد الحلم، ولا صمت يوم إلى الليل، ولا طلاق قبل النكاح» أخرجه ابنُ عدي في «الكامل» (٢/٥٤٥)، والبيهقيُّ (٧/٤٦١) عن عبد الرزاق، وهذا في «المصنَّف» (٦/٤١٦/١١٤٥٠) عن معمر بن راشد، عن جويبر بن سعيد، عن الضحَّاك بن مزاحم، عن النزال بن سبرة، عن عليٍّ بهذا. وعند عبد الرزاق: «فقال له الثوريُّ: يا أبا عروة ـ هي كنيةُ مَعْمر ـ إنما هو عن عليّ موقوفٌ. فأبى عليه مَعْمر إلا عن النبي ﷺ». وعند البيهقيّ: «قال سفيان لمعمر: إنّ جويبرًا حدثنا بهذا الحديث ولم يرفعه. قال مَعْمرٌ: وحدثنا به مرارًا ورفعه».

وقد توبع معمر على رفعه. تابعه سفيان الثوري، فرواه عن جويبر بهذا الإسناد أخرجه الدارقطنيُّ في «العلل» (٤/١٤٢)، والثقفيُّ في «الثقفيات» (٣/٩/٢) من طريق أيوب بن سويد، عن الثوري بهذا. وهذا منكرٌ عن الثوري لأمرين:

الأول: أن الثوري أنكر على معمر بن راشد رفعه لما تقدَّم، وقال: إنه موقوفٌ.

الثاني: أن أيوب بن سويد ضعيفٌ، وقد خالفه محمد بن كثير، وهو أوثق منه بطبقات، فرواه عن الثوري فوقفه. ورجح الدارقطنيُّ وقفه وقال: «هو المحفوظُ» ومما يؤيد وقفه أن هشيم بن بشير رواه عن جويبر، عن الضحاك، قال: أخبرني النزال بن سبرة، قال: سمعتُ عليًا يقول: فذكره موقوفًا أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» (١٠٣٠) قال: نا هشيمُ.

وكذلك رواه حماد بن زيد، وإسحاق بن الربيع عن جويبر بهذا موقوفًا. ذكر ذلك الدارقطنيُّ أيضًا. وترجيح الموقوف على المرفوع نظريٌّ.

الفتاوى

يجيب عليها
لجنة الفتاوى بالمركز العام

العدل بين الأولاد

يسأل فرع منشأة البكاري:

من أراد أن يوسع على أولاده كما وسع الله عليه، وكل أولاده متزوجون فهل يلتزم في ذلك بإعطاء الذكر مثل حظ الانثيين أم يسوي بين الذكور والإناث، أم يعطي كلاً حسب حاجته.

الجواب: يشرع لمن أراد التوسعة على عياله المتزوجين بأن يعطيهم شيئًا من ماله وأن يسوي بينهم في الهبة والعطية.

قال البخاري: وإذا أعطى بعض ولده شيئًا، لم يجز حتى يعدل بينهم ويعطي الآخر مثله، وقال النبي ﷺ: «اعدلوا بين أولادكم في العطية».

وفي الصحيح عن النعمان بن بشير قال: أعطاني أبي عطية، فقالت عمرة بنت رواحة- وهي أم النعمان-: لا أرضى حتى تُشهد رسول الله ﷺ، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟ قال: لا. قال: «فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم». قال: فرجع فردَّ عطيته. رواه البخاري.

وقد اختلف أهل العلم في وجوب التسوية، فأوجبها البعض، وقال البعض بأنها مستحبة، وأنه ينبغي توخي المصلحة في العطية. وهل تكون التسوية بين الذكور والإناث، أم يعطى الذكر مثل حظ الأنثيين؟ فيه خلاف.

قال محمد بن الحسن وأحمد وإسحاق وبعض الشافعية والمالكية: العدل أن يعطي الذكر حظين والأنثى حظًا كالميراث، واحتجوا بأنه حظها من ذلك المال لو أبقاه الواهب في يده حتى مات.

وقال غيرهم: لا فرق بين الذكر والأنثى، وظاهر الأمر بالتسوية يشهد لهم، واستأنسوا بحديث ابن عباس: «سووا بين أولادكم في العطية، فلو كنت مفضلاً أحدًا لفضلت النساء». رواه سعيد بن منصور، والبيهقي وإسناده حسن. قاله ابن حجر في الفتح.

ومع كون الحديث حسنًا، فالأولى التسوية بين الأولاد ذكورًا وإناثًا، وهو الراجح. والله أعلم.

اختلاط مال الابن بمال الوالد

٢- رجل له أولاد سافر منهم واحد وقام ببناء دور كامل بالمنزل فماذا يصنع لحفظ حق ولده في ذلك هل يكتب له ذلك؟ أم ماذا؟

الجواب: يكتب الوالد لولده قيمة ما بناه وشيده على نفقته الخاصة مع بقاء حق الورثة في الأرض وسائر الميراث. والله أعلم.

ويسأل سائل: إذا قام المأموم إلى ركعة خامسة ولم يستو قائمًا فهل عليه شيءٌ؟

الجواب: يرجع المأموم إلى الجلوس ومتابعة الإمام في التشهد ويسلم مع الإمام ولا شيء عليه ولا يسجد للسهو؛ لأن الإمام يجبر ما وقع من المأموم من سهو، أما إذا سها الإمام، فإنه يسجد للسهو ويسجد معه المأموم. والله أعلم.

النصاب والحول يوجبان الزكاة

ويسأل سائل:

المال الذي بلغ النصاب أو أكثر وأعطاه صاحبه لأحد الأشخاص يستثمره له ما حكمه بعد أن يحول عليه الحول؟

الجواب: إذا بلغ المال نصابًا وحال عليه الحول وجبت فيه الزكاة، سواء كان المال مدخرًا، أم مستثمرًا، بل إن المال المستثمر يخرج عنه الزكاة بطريق الأولى وهو ما يعرف بزكاة عروض التجارة، وجمهور العلماء على وجوبها.

شقق مشروع الإسكان

ويسأل سائل:

هل يجوز التعامل مع مشروع إسكان الشباب؛ علمًا بأن سداد ثمن الشقة مرة واحدة يتم بدون فوائد، وأما من لا يملك الدفع نقدًا فيدفع الدفعة المطلوبة للتملك ثم يقوم بنك الإسكان والتعمير بحساب الباقي وهو ١٥٠٠٠ بفائدة كبيرة، ويتم التقسيط ٨٢ جنيها شهريًا لمدة ٤٠ عاما وإن كنت لا أعلم دور البنك بالتحديد وأشك أن يدفع المبلغ لوزارة الإسكان ثم يأخذه بالفائدة من الشباب على مدى أربعين عامًا.

الجواب: كل قرض يرتبط بفائدة حرام شرعًا، وهو من الربا المحرم؛ لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾.

ولو أن الشقة تباع بالتقسيط بسعر أعلى من سعر البيع الفوري ويتفق على هذا السعر عند التعاقد فهذا جائز، أما أن توضع فائدة على باقي الأقساط ولو كانت قليلة فهذا ربا حرام شرعًا. والله تعالى يقول: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾. والله أعلم.

المكره على الذنب

تسأل سائلة:

لو أن امرأة أُكرهت على إجهاض ما في بطنها ثم أرادت أن تتوب فما كفارتها وما كفارة زوجها الذي أكرهها على ذلك؟

الجواب: تتوب هذه المرأة إلى الله عز وجل، وكذلك زوجها، وتكون التوبة بالندم على فعل الحرام والإقلاع عنه فورًا، والعزم على عدم العود إليه مرة أخرى.

ويكثر الزوجان من الحسنات الماحية لأثر الذنب؛ لقول الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾، ولقول النبي ﷺ للرجل الذي جاء يعترف بذنبه ويقول: أصبت حدًا، فقال النبي ﷺ: «ألست قد صليت معنا؟» قال: نعم. قال: قد غفر الله لك ذنبك، أو قال: حدك. ولقول النبي ﷺ: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها». والله أعلم.

إعطاء الأقارب من النذر

ويسأل سائل:

هل يجوز أن أعطي من النذر لله لعمتي وأولادها وخالتي وأولادها، وهل يجوز أن أعطي منه لأمي وأخواتي. وجزاكم الله خيرًا.

الجواب: إذا كنت قد نذرت ذبح شاة أو نحوها لله أي للتقرب إلى الله، فلا مانع من إعطاء الأقارب والأكل منها وإعطاء الفقراء كما هو الحال في الأضحية.

وإن كنت قد نذرتها للفقراء فلا تأكل منها ولا تعط الأقارب غير المحتاجين.

فالنذر يقع على شرط الناذر ونيته.

والنبي ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى». الحديث. والله أعلم.

الطلاق بلفظ الظهار

يسأل ع.ع.ع.العمرانية.جيزة

يقول:

قلت لأم زوجتي: إن ابنتك محرمة عليَّ كأمي وأختي وكررتها عليها عدة مرات ثم تركتها وخرجت فقابلتني لدى الباب زوجة أخي فقلت لها إن زوجتي قد طلقتها وأنا لا أذكر حقا هل كنت أريد الطلاق أم كان الأمر فيه رغبة في الظهور على أم زوجتي وانتصار النفس منها. فهل هذا يعد طلاقا أم ماذا؟

الجواب: إذا كان ما حدث بهذه الصورة فإن ذلك يعد ظهارًا ولو كانت النية الطلاق، ويجب فيه كفارة الظهار ولا تحسب طلقة، وكفارة الظهار كما وضحتها سورة المجادلة تتلخص في تحرير رقبة من قبل أن يتماسا فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا، أي إخراج طعام يكفي ليأكله ستون مسكينا ولو أكله نصفهم أو ربعهم أو أقل من ذلك.

الوتر على المسافر

س: إذا قصر المسلم الصلاة، أفيصلي الوتر أم لا؟

الجواب: المسافر يقصر الصلاة الرباعية فيصليها ركعتين ويترك السنن الرواتب كسنة الظهر ولكنه يصلي ركعتي الفجر، ويصلي الوتر سفرًا وحضرًا كما ثبت عن النبي ﷺ وخير الهدي هدي محمد ﷺ، والله أعلم.

الزكاة على ابن الأخ

س: هل يجوز إخراج الزكاة لابن الأخ؟

الجواب: يجوز صرف الزكاة لابن الأخ إذا كان فقيرًا أو مسكينًا لا يكفيه دخله بشرط ألا يكون ممن تجب له عليك نفقة فإن كانت نفقته عليك لعدم وجود من ينفق عليه من أب أو جد وكان صغيرًا يحتاج للنفقة فنفقته عليك، ولا يحق لك أن تعطيه من الزكاة، لأنك لو دفعتها إليه وأنفقت عليه منها فكأنك دفعتها لنفسك.

والزكاة والصدقة على أولي الأرحام يجمع فيها المسلم بين ثواب الصدقة وثواب الصلة ـ صلة الرحم ـ والله أعلم.

شروط الجزاء في البيع

س: رجل اشترط في بيعة له أنه إذا رجع الطرف الآخر في البيع يغرم مبلغا من المال، فهل هذا الشرط صحيح، وهل هذا خيار الشرط، وما هو خيار العيب؟

الجواب: قال رسول الله ﷺ: «المسلمون عند شروطهم إلا شرطا أحل حرامًا أو حرم حلالا».

فإذا اشترط أحد المتعاقدين شرطًا لا يحل حرامًا ولا يحرم حلالا وقبله الطرف الثاني وجب الوفاء به.

والشرط المذكور في السوال جائز، وهو من خيار الشرط ولكنه لا يسقط خيار العيب، فإذا وجد المشتري بالسلعة عيبًا جاز له أن يردها، ولا يضره مثل هذا الشرط إلا إذا كان قد اشتراها عالمًا بعيبها فليس له خيار. والله أعلم.

أجاب عليها: فضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله

حكم السفر إلى بلاد الكفار

سُئل: ما حكم السفر إلى بلاد الكفار؟ وحكم السفر للسياحة؟

أجاب: السفر إلى بلاد الكفار لا يجوز، إلا بثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات.

الشرط الثاني: أن يكون عنده دين يمنعه من الشهوات.

الشرط الثالث: أن يكون محتاجًا إلى ذلك.

فإن لم تتم هذه الشروط فإنه لا يجوز السفر إلى بلاد الكفار لما في ذلك من الفتنة أو خوف الفتنة، وفيه إضاعة المال؛ لأن الإنسان ينفق أموالاً كثيرة في هذه الأسفار.

أما إذا دعت الحاجة إلى ذلك لعلاج، أو تلقي علم لا يوجد في بلده وكان عنده علم ودين على ما وصفنا فهذا لا بأس به.

وأما السفر للسياحة في بلاد الكفار فهذا ليس بحاجة وبإمكانه أن يذهب إلى بلاد إسلامية يحافظ أهلها على شعائر الإسلام،وبلادنا الآن والحمد لله أصبحت بلادًا سياحية في بعض المناطق، فبإمكانه أن يذهب إليها ويقضي زمن إجازته فيها.

حكم العمل مع الكفار

سُئل: فضيلة الشيخ، شخص يعمل مع الكفار فبماذا تنصحونه؟

أجاب: ننصح هذا الأخ الذي يعمل مع الكفار، أن يطلب عملاً ليس فيه أحد من أعداء الله ورسوله ممن يدينون بغير الإسلام، فإذا تيسر فهذا هو الذي ينبغي، وإن لم يتيسر فلا حرج عليه لأنه في عمله وهم في عملهم، ولكن بشرط أن لا يكون في قلبه مودة لهم ومحبة وموالاة، وأن يلتزم ما جاء به الشرع فيما يتعلق بالسلام عليهم ورد السلام ونحو هذا، وكذلك أيضًا لا يُشيع جنائزهم، ولا يحضرها، ولا يشهد أعيادهم، ولا يهنئهم بها مع بذل الاستطاعة في دعوتهم إلى الإسلام.

الدين سبب تمكين؛ وليس سبب تخلف

سُئل: فضيلة الشيخ، يدعي بعض الناس أن سبب تخلف المسلمين هو تمسكهم بدينهم، وشبهتهم في ذلك؛ أن الغرب لما تخلوا عن جميع الديانات وتحرروا منها، وصلوا إلى ما وصلوا إليه من التقدم الحضاري، وربما أيدوا شبهتهم بما عند الغرب من الأمطار الكثيرة والزروع، فما رأي فضيلتكم؟

أجاب: هذا الكلام لا يصدر إلا من ضعيف الإيمان، أو مفقود الإيمان، جاهل بالتاريخ، غير عالم بأسباب النصر، فالأمة الإسلامية لما كانت متمسكة بدينها في صدر الإسلام كان لها العزة والتمكين، والقوة، والسيطرة في جميع نواحي الحياة، بل إن بعض الناس يقول: إن الغرب لم يستفيدوا ما استفادوه من العلوم إلا ما نقلوه عن المسلمين في صدر الإسلام، ولكن الأمة الإسلامية تخلفت كثيرًا عن دينها، وابتدعت في دين الله ما ليس منه، عقيدة، وقولاً، وفعلاً، وحصل بذلك التأخر الكبير، والتخلف الكبير، ونحن نعلم علم اليقين ونُشهد الله عز وجل إننا لو رجعنا إلى ما كان عليه أسلافنا في ديننا، لكانت لنا العزة، والكرامة، والظهور على جميع الناس.

ولهذا حدَّث أبو سفيان هرقل ملك الروم- والروم في ذلك الوقت تعتبر دولة عظمى- بما عليه الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه. قال: «إن كان ما تقول حقًا فسيملك ما تحت قدمي هاتين». ولما خرج أبو سفيان وأصحابه من عند هرقل، قال: «لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشة إنه ليخافه ملك بني الأصفر».

وأما ما حصل في الدول الغربية الكافرة الملحدة من التقدم في الصناعات وغيرها، فإن ديننا لا يمنع منه، لو أننا التفتنا إليه، لكن مع الأسف ضيعنا هذا وهذا، ضيعنا ديننا، وضيعنا دنيانا، وإلا فإن الدين الإسلامي لا يعارض هذا التقدم، بل قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا

اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ [الملك: ١٥]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]. إلى غير ذلك من الآيات التي تعلن إعلانًا ظاهرًا للإنسان أن يكتسب ويعمل وينتفع، لكن لا على حساب الدين، فهذه الأمم الكافرة هي كافرة من الأصل، دينها الذي كانت تدعيه دينٌ باطل، فهو وإلحادها على حد سواء، لا فرق. فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]. وإن كان أهل الكتاب من اليهود والنصارى لهم بعض المزايا التي يخالفون غيرهم فيها، لكن بالنسبة للآخرة هم وغيرهم سواء، ولهذا أقسم النبي ﷺ، أنه لا يسمع به من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يتبع ما جاء به إلا كان من أصحاب النار، فهم من الأصل كافرون، سواء انتسبوا إلى اليهودية، أو النصرانية، أم لم ينتسبوا إليها.

وأما ما يحصل لهم من الأمطار وغيرها فهم يصابون بهذا ابتلاءً من الله تعالى وامتحانًا، وتعجل لهم طيباتهم في الحياة الدنيا، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام لعمر بن الخطاب، وقد رآه قد أثر في جنبه حصير، فبكى عمر. فقال: يا رسول الله، فارس والروم يعيشون فيما يعيشون فيه من النعيم، وأنت على هذه الحال. فقال: «يا عمر، هؤلاء قوم عُجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا، أما ترضى أن تكون لهم الدنيا، ولنا الآخرة؟». ثم إنهم يأتيهم من القحط، والبلايا، والزلازل، والعواصف المدمرة ما هو معلوم، وينشر دائمًا في الإذاعات، وفي الصحف، وفي غيرها، ولكن من وقع السؤال منه أعمى، أعمى الله بصيرته فلم يعرف الواقع، ولم يعرف حقيقة الأمر، ونصيحتي له أن يتوب إلى الله عز وجل عن هذه التصورات قبل أن يفاجئه الموت، وأن يرجع إلى ربه، وأن يعلم أنه لا عزة لنا، ولا كرامة، ولا ظهور، ولا سيادة إلا إذا رجعنا إلى دين الإسلام، رجوعًا حقيقيًا يصدقه القول والفعل، وأن يعلم أن ما عليه هؤلاء الكفار باطل ليس بحق، وأن مأواهم النار، كما أخبر الله بذلك في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، وأن هذا الإمداد الذي أمدهم الله به من النعم ما هو إلا ابتلاء وامتحان وتعجيل طيبات، حتى إذا هلكوا وفارقوا هذا النعيم إلى الجحيم ازدادت عليهم الحسرة والألم والحزن، وهذا من حكمة الله عز وجل بتنعيم هؤلاء، على أنهم كما قلت لم يسلموا من الكوارث التي تصيبهم من الزلازل، والقحط، والعواصف، والفيضانات وغيرها، فأسأل الله لمن وقع منه السؤال الهداية والتوفيق، وأن يرده إلى الحق وأن يبصرنا جميعًا في ديننا إنه جواد كريم.

هل يسجد من أدرك الإمام ساجدًا؟

سُئل: إذا أدرك المأموم الإمام ساجدًا فهل ينتظر حتى يرفع، أو يدخل معه؟

أجاب: الأفضل الدخول مع الإمام على أي حال وجده لا ينتظر، لعموم قوله ﷺ: «فما أدركتم فصلوا».

الزكاة للمجاهدين

سُئل: هل يجوز دفع الزكاة للمجاهدين؟

أجاب: إن الله جعل من أصناف أهل الزكاة المجاهدين في سبيل الله، فالمجاهدون في سبيل الله يجوز أن نعطيهم من الزكاة، ولكن مَن المجاهد في سبيل الله؟ المجاهد في سبيل الله بيّنه رسول الله ﷺ حين سُئل عن الرجل يقاتل شجاعة، ويُقاتل حمية، ويُقاتل ليرى مكانه أي ذلك في سبيل الله؟ فأعطانا نبي الله ﷺ ميزانًا قيمًا قسطًا، فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله». فكل من قاتل لهذا الغرض لإعلاء كلمة الله وتحكيم شريعة الله، وإحلال دين الله تعالى في بلاد الكفار فإنه في سبيل الله، يعطى من الزكاة، إما أن يعطى دراهم يستعين بها على الجهاد، وإما أن تشترى معدات لتجهيز الغزاة.

النوم آية من آيات الله تعالى

بقلم
د.محمد السقا عيد

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [الروم:٢٣].

لا شك أن النوم شيء جميل ولذيذ لا يشعر بقيمته إلا الذين يبيتون الليالي يتقلبون في فراشهم وقد عز عليهم مناله. ولكنه في الوقت نفسه ظاهرة غريبة يحوطها الغموض. فما أجمل أن نستلقي على الفراش ونغمض أعيننا وننتقل من عالم الحقيقة المكفهر إلى عالم الأحلام الوردية حيث يتحقق ما كانت تهفو إليه نفوسنا من آمال لم نحققها في يقظتنا. وفي أحيان أخرى قد نجد أنفسنا في مأزق لا يخرجنا منه سوى استيقاظنا... كذلك نرى ونسمع ونضحك ونبكي ونحن نائمون في فراشنا.

فما هو النوم؟ ذلك الشيء العجيب الذي لا يمكننا الاستغناء عنه والذي نكرره كل ليلة..؟

وهل تنام الكائنات الحية جميعها كما ننام نحن؟

هذه بعض الأسئلة التي تدور في أذهاننا بمجرد ذكر أي معلومات عن النوم أو حتى سماع كلمة «النوم».

وقبل أن نخوض في هذه الجولة أحب أن أذكرك أخي المسلم أن النوم يعتبر من أهم النعم التي أنعم الله بها على الكائن الحي، وأنه في الواقع دليل لا يقاربه شك على وجود الله.

فالنوم عملية تتم دون أن يكون للإنسان دخل بها ولا سيطرة له عليها. فهو في وقت معين تبدأ قواه في التناقص، وتعتريه حالة من الاستعداد للنوم، ثم لابد بعد ذلك أن ينام سواء أكان بالنهار أم بالليل.

ويمكن إدراك أهمية النوم بالتجارب التي أجريت على الحيوان، والتي اتضح منها أن النوم أهم للحياة من الطعام والشراب.

وقد قرر علماء الروس أن التجارب التي أجريت على صغار الكلاب أثبتت أنها لم تستطع الحياة لأكثر من خمسة أيام بلا نوم، بينما عاشت مثيلاتها التي تنام عشرين يومًا بلا طعام.

ولعلي أجد نفسي أمام سؤال ملح تتطلبه الكلمات السابقة، هذا السؤال هو:

هل تنام الكائنات الحية وتحلم كما يحدث لنا بني البشر أم أن هناك فرقًا؟؟

إن من دلائل قدرة الله وعظمته أن تشترك الكائنات الحية جميعها في النوم، فالحيوانات تنام وتصحو كالإنسان، وقد ثبت أن الحيوانات تحلم كذلك في منامها. فقد وجد بالتجارب أن بعض الكلاب تنهض من نومها فزعة تتلفت في كل الاتجاهات مما يدل على أنها كانت فريسة حلم مخيف.

وتنام أيضا الحيوانات الدنيا والأسماك والحشرات، ولو أنه من الصعب تمييز حالتها بين اليقظة والنوم. وقد أجريت تجارب بأن وضع بقرب الحشرات أو الحيوانات ليلا ما يثيرها ويفزعها ، فلم تتحرك حتى الفجر، بينما ظهر عليها بعض الاختلاف في المظهر بعد الفجر، إذا تصرفت

تصرف الخائفة الفزعة.

ومن الآيات العجيبة التي تدل على رحمة الله أن الطير ينام على غصنه ولا يقع بالرغم من أن قبضة الطائر لابد أن تسترخي كباقي عضلاته حين يغلبه النعاس، إذ أن الأوتار التي تحدث البسط والقبض في مخالب الطائر تلتف حول مفصل ساقه، فحين ينام ويثني ثقل جسمه هذا المفصل تشد الأوتار مخالبه فيزيد تشبث قبضة الطائر على غصنه، ويتم ذلك دون تفكير أو تدبير، بل دون أن يعيها ويُحسها الطائر..!!

سبحان الله!!... أليست هذه آية من آيات الله وإعجازًا من إعجازه.

فلتتفكر أخي المسلم في هذه الآيات الواضحة وليكن لك معها وقفات ووقفات..!!

ولنترك عالم الطيور والحشرات والحيوانات ونتأمل في عالم النبات.

لقد قرّر علماء النبات أنهم بدراسة الأزهار والتطورات التي تشملها في كل وقت، اتضح لهم أن النبات ينام كما ينام كل كائن حي، وأن مشاهد النوم تظهر واضحة جلية في الأزهار.

كثيرٌ منا يظن أن تفتح الأزهار يحدث نتيجة لتأثرها بالشمس والضوء.

والحقيقة غير ذلك حيث ثبت أن تفتح الأزهار لا دخل له بالشمس والضوء وأن ما نراه من أُفول الأزهار وتفتحها يرجع إلى نومها واستيقاظها من النوم.

فهناك أزهار يختص بها بعض فراشات الليل إذ تتفتح أزهارها في الليل وتكون في تمام تفتحها عند منتصف الليل. سواء أكانت الليلة مقمرة أم مظلمة.

وهناك أزهار تأفل أوراقها وتستسلم للنوم العميق ظهرًا حتى أن أولاد الفلاحين في الجهات التي تنمو فيها هذه الأزهار يعرفون ميعاد غذائهم من نومها.

هكذا رأينا أن النبات هو الآخر يحس ويتأثر وأنه هناك فترات نشاط وكل بالنسبة له.

لماذا تنام الكائنات الحية؟

الحقيقة أن هناك أراءًا كثيرة لتفسير أسباب حدوث النوم، ومن هذه الآراء:

ما يقال من أن كمية الدم التي تصل إلى المخ فيحدث النوم، ويتم ذلك نتيجة لانقباض الأوعية الدموية فتقل تبعًا لذلك كمية الدم المارة بها.

ولعل سائلا يسأل: وما هو السبب لحدوث هذا الانقباض في الأوعية الدموية؟

المحتمل أن أنسجة المخ تتراكم فيها المواد السامة الناتجة عن النشاط الدموي فيسبب ذلك انقباض الأوعية الدموية فيحدث النوم نتيجة لذلك ويظل الحال هكذا حتى يتخلص الدم من هذه السموم فتتسع الأوعية الدموية وتزداد كمية الدم الواردة إلى المخ فيصحو الإنسان من نومه. وهذا هو أقرب الأقوال للصواب، ولكن هذا ليس هو التفسير الصحيح فقد قدَّم الباحثون فيما مضى عدة نظريات لتفسير ظاهرة النوم والتي من بينها تلك النظرية والمسماة بالنظرية الكيماوية السابقة الذكر، ولكن هذه النظريات كلها عجزت في الواقع عن تفسير الحقائق الصحيحة. وقد وصل العالم حديثًا إلى أن النوم عبارة عن طرح روحي مؤقت تترك فيه الروح الجسد ساعات خاصة من اليوم والليلة.. وقد عد العلماء هذا نصرًا ما بعده نصر. وما تزال الآيات جادة لتفسير هذه الآية الإلهية.

وقد تكون هناك أسباب أخرى للنوم تتعلق بكهرباء المخ. فالنوم فترة راحة للمخ لابد منها، وهو أشبه بإعادة شحن بطارية.

وهناك تفسيرات واجتهادات أخرى أرى أن لا نخوض فيها حتى لا يحدث هناك بلبلة وحتى لا يتشعب الموضوع بنا.

الموت الأصغر:

النوم كصفة من صفات

الإنسان تلازمه طول حياته، فهو ليس نقيضًا للحياة ولا مرادفًا للموت، وإنما تتوفى فيه النفس ثم ترسل ثانية، وبذلك يظل الجسد حيًا بعكس الموت الذي يتم إمساك روحه، فتوفى الروح ثم إرسالها في النائم يغاير تمامًا توفي الروح ثم إمساكها بالنسبة للميت، ولذلك يظل النائم حيًا بكل ما تحمله الحياة من مدلولات إلا أنه يفقد ما تضفيه عليه الروح من صفات العقل والإدراك والانفعال والإرادة بالإضافة إلى الإحساس بالزمن ولكن تظل العمليات الحيوية الكيمائية والفيزيائية تعمل تلقائيًا بكل خلاياه.

ولذلك كان القول بأن النوم هو الموتُ الأصغر له دلالاته الإيجابية الموحية، فنفس النائم يتوفاها الله ويرسلها عند الاستيقاظ وصدق الله العظيم القائل:

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر:٤٢].

فجعل الحق تبارك وتعالى النوم كالموت، أي خرج الروح، هذا الخروج يكون دائمًا حين الموت ومؤقتًا في النوم.

فالنائم يرى من رموز الغيب ودلالاته ما لا يدركه الإنسان المستيقظ وما يخرج عن إمكانيات الحواس المادية والقدرات الجسدية الفيسولوجية المعروفة وإنما يدل على إمكانيات وقدرات الروح وهي في حالة التوفي أثناء النوم، وكلها تدل على وجود عوالم أخرى وآفاق غيبية لا يعلمها إلا الله.. وهكذا يشبه النوم الموت من وجوه فهو دليل عليه وإشارة إليه، وهنا علينا أن نتذكر ونتدبر قول الرسول ﷺ وهديه لنا عند الاستقياظ من النوم «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور» البخاري ومسلم.

إشهار

- تشهد مديرية الشئون الاجتماعية بالدقهلية بأن جمعية أنصار السنة المحمدية بالعصافرة مركز المطرية قد تم قيدها تحت رقم ٩٨٢ بتاريخ ٢٠٠٣/٣/٢٤ طبقًا للقانون رقم ٨٤ لسنة ٢٠٠٣م، بشأن الجمعيات والمؤسسات الخاصة واللائحة التنفيذية لذلك القانون.
- كما تم إشهار فرع جمعية أنصار السنة المحمدية بالمنيب بتاريخ ٢٠٠٣/٣/١٦م تحت رقم ١٧١٩.

وأسرة تحرير مجلة التوحيد تتمنى للفروع الجديدة التوفيق والسداد.

المنح في المحن

بقلم
محمد رزق ساطور

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

المتأمل يجد في الفتن من المنافع والخير ما يجعلها تنطوي على المنح على ما فيها من محن، وهذه سمة خاصة لأهل الإيمان، فلقد اجتمعت قوى الشر المتحالفة تريد النهب والسرقة وانتهاك الحقوق والأموال والأنفس والثمرات، وتدمير القيم والأخلاق مع حرب مشينة على الإسلام وأهله، ولكنها تغطي هذا الوجه القبيح والفعل الشنيع كي تخدع السذج والمرجفين في البلاد، فيقولون: نريد تحرير الشعوب من الطغاة والمتجبرين، نريد فك القيود عن الشعوب المحاصرة في بيوتها وبلادها، نريد للناس الخير والرفاهية والرخاء!!! وكذبوا وخسئوا فلم يعد هذا يخفى على أحد ممن عنده مسحة من عقل، لقد حركت هذه الفتن في الناس كل كوامن النفس، وجمعت قلوب المسلمين على نصرة الإسلام والمسلمين، وتحرك المسلمون نحو دينهم وربهم ما لو وعظهم الوعاظ والخطباء عشرات السنين ما وصلوا إليه، وتلك من المنح في هذه المحن.

إن ادعاء أهل الباطل أنهم يريدون الخير والإصلاح محض كذب وافتراء، وهذا ادعاء أهل الباطل دائمًا، فلقد أراد فرعون من قبل أن يقتل موسى عليه السلام، وهذه مسألة تحتاج إلى تهيئة الرأي العام لتقبل ذلك حتى لا يثور عليه الناس، وهل يجرؤ على أن يلصق بموسى عليه السلام تهمًا ليبرر للناس ما يريد أن يفعله به، فعرض الأمر عليهم قائلا كما قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [غافر:٢٦]، فالظالمون لا يقيمون وزنًا لأحد وإن كانوا أنبياء، ولا يعظمون شرائع، وليس عندهم ما يردعهم عن الظلم، بل هم لا يعظمون الله تعالى، ففرعون يتحدى موسى عليه السلام فيقول ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾، ولما أحس فرعون أن الشعب من الممكن أن يثور عليه إذا به يتوجه بهذا الخطاب للناس يبرر لهم قوله وفعله: ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ فتمسح في الدين، والدين منه براء، ليخدع الناس، ثم بين لهم سببًا آخر فقال: ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾، لقد وصف فرعون موسى عليه السلام بالفساد، فهل موسى عليه السلام هو الذي سيبدل ويغير الدين؟ وهل دعوة موسى عليه السلام فساد؟ أو تؤدي للفساد؟ وهل سيقتنع الناس بذلك؟ ولكنه التبرير المقيت الخبيث الذي يستخف بعقول البشر من جانب الطغاة حيال أهل الإيمان.

إن القتل شنيع مستقبح مستهجن في كل الشرائع، والله تعالى يقول: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة:٣٢]، فكيف يقبل الإنسان على القتل وهو يعلم جرمه وإثمه، لابد أن تقوم النفس الخبيثة بدور التبرير حتى يقع القتل، فقد أقبل ابن آدم الأول على قتل أخيه بعد ما بررت وزينت له نفسه الخبيثة ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧]، ومع أنه هدده بالقتل إلا أنه أحجم عنه حتى قامت النفس الخبيثة بدورها فبررت وهيأت وزينت وشجعت، فأقبل بعد إحجام وانتهك الحرمات بسبب ذلك ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة:٣٠]، والنفس تضعف بذلك، فتلين وتستجيب لتلك المبررات وإن كانت واهية، وإن كانت خلاف الحقيقة، هكذا يزين الإنسان لنفسه مغترًا بقوته وسطوته وجبروته الاعتداء على الآمنين في حين أنه يوهم نفسه زورًا أنه يفعل ذلك من أجلهم وهذا عين الفساد والإجرام، فهذا فرعون اللعين حينما التقى بموسى عليه السلام يقول له كما قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨)

وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الشعراء:١٨، ١٩]، إن فرعون الذي قتل الصغار وبقر بطون النساء وأجرم في حق البلاد والعباد يذكر موسى عليه السلام أنه قتل مع أنه قتل على سبيل الخطأ، أرأيت إلى حال هذا المجرم الأثيم كيف يشوه صورة نبي الله موسى عليه السلام فيشنع عليه ويصفه بما ليس فيه، وهذا دأب كل أهل الكفر، وما أشبه الليلة بالبارحة، فهذا هبل الأكبر قائد تحالف الشيطان يرمي التهم ويوزعها على كل من في الأرض فيقول: هذا إرهابي، وهذا متطرف، وهذا متواطئ، وهذا ديكتاتور، وهذا رجعي، إلى آخر التعبيرات التي يهدد بها من يشاء، بل ونسي نفسه فبات يفكر في القضاء على المسلمين في كل مكان، تارة في أفغانستان وأخرى في العراق، ويبيد اليهود كل شيء في فلسطين على مرأى ومسمع من الدنيا وبإذن ورأي هبل الأكبر نفسه، كذلك زين له خياله المريض أنه قادر على أن يفعل ما يشاء، حتى أصبح الكثيرون مهددين من هذا الأحمق الجاهل الذي تحركه الصليبية الحاقدة والصهيونية الخائنة والمجرمون المرتزقة المنتفعون من نهب ثروات الشعوب. إن المسلمين يتوجهون إلى الله تعالى ويجأرون إليه سبحانه أن ينتقم ممن استحل دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، لقد جمعت هذه المحن قلوب المسلمين، لأنهم يعلمون أن ما يصيب المؤمنين من الشرور والمحن والأذى مقرون بالرضا والاحتساب فإن فاتهم الرضا فمعولهم على الصبر وعلى الاحتساب وذلك يخفف عنهم ثقل البلاء ومؤنته، وهذا هو الفارق بينهم وبين عدوهم وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله: ﴿وَلاَ تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ...﴾ [النساء:١٠٤]، فاشتركوا في الألم وامتاز المؤمنون برجاء الأجر والزلفى من الله تعالى، ولكن أهل الكفر يعيشون في شقاء وكرب وذل وإن تظاهروا بخلاف ذلك، قال الحسن رحمه الله: «إنهم وإن هملجت بهم البراذين وطقطقت بهم البغال إن ذل المعصية لفي قلوبهم أبي الله إلا أن يذل من عصاه».

إن هذه المحن كما قال ابن القيم رحمه الله: «إن ابتلاء المؤمن كالدواء له يستخرج منه الأدواء التي لو بقيت فيه أهلكته أو نقصت ثوابه وأنزلت درجته فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء ويستعد به لتمام الأجر وعلو المنزلة ومعلوم أن وجود هذا خير للمؤمن من عدمه كما قال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له وليس ذلك إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له» فهذا الابتلاء والامتحان من تمام نصره وعزه وعافيته ولهذا كان أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأقرب إليهم فالأقرب يبتلي المرء على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة شدد عليه البلاء وإن كان في دينه رقة خفف عنه ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على وجه الأرض وليس عليه خطيئة، إن ما يصيب المؤمن في هذه الدار من إدالة عدوه عليه وغلبته له وأذاه له في بعض الأحيان أمر لابد منه وهو كالحر الشديد والبرد الشديد والأمراض والهموم والغموم فهذا أمر لازم للطبيعة والنشأة الإنسانية في هذه الدار حتى للأطفال والبهائم لما اقتضته حكمة أحكم الحاكمين، فلو تجرد الخير في هذا العالم عن الشر والنفع عن الضر واللذة عن الألم لكان ذلك عالما غير هذا ونشأة أخرى غير هذه النشأة وكانت تفوت الحكمة التي مزج لأجلها بين الخير والشر والألم واللذة والنافع والضار وإنما يكون تخليص هذا من هذا وتمييزه في دار أخرى غير هذه الدار كما قال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٧]، اهـ.

ماذا عسى المسلمون أن يفعلوا؟ هل يتقاعسون عن نصرة إخوانهم؟ فيأتي الدور عليهم؟ وهل يقف الحكام مكتوفي الأيدي مكبلين أنفسهم وشعوبهم بما يسمى بالشرعية الدولية التي لم ولن تقدم شيئًا أبدًا، من يرحم الصغار والنساء والأبرياء والضعفاء من تلك الهجمة الهمجية الإرهابية الحاقدة؟ ثم ماذا نحن قائلون لربنا سبحانه يوم القيامة إذا سألنا عن ذلك؟ ﴿أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦) كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المطففين:٤-١٠]، أسأل الله العلي الأعلى أن يعز الإسلام والمسلمين، وأن يذل الشرك والمشركين، وأن يدمر أعداء الدين من الغزاة المجرمين، اللهم أحصهم عددا، وأهلكهم بددًا، ولا تبق منهم أحدًا، ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا﴾ [نوح:٢٧، ٢٨].

فضل أهل البيت وعلو مكانتهم عند أهل السنة والجماعة

«الحلقة الثالثة»

لفضيلة الشيخ:
عبدالمحسن بن حمد العباد البدر

علو مكانة أهل البيت عند الصحابة وتابعيهم بإحسان

أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

روى البخاري في صحيحه (٣٧١٢) أنَّ أبا بكر رضي الله عنه قال لعليٍّ رضي الله عنه: «والذي نفسي بيده لَقرابةُ رسول الله ﷺ أحبُّ إليَّ أنْ أَصِلَ من قرابَتِي».

وروى البخاريُّ في صحيحه أيضًا (٣٧١٣) عن ابن عمر، عن أبي بكر رضي الله عنه قال: «ارقُبُوا محمدًا ﷺ في أهل بيته».

قال الحافظ ابن حجر في شرحه: «يخاطِبُ بذلك الناسَ ويوصيهم به، والمراقبةُ للشيء: المحافظةُ عليه، يقول: احفظوه فيهم، فلا تؤذوهم ولا تُسيئوا إليهم».

وفي صحيح البخاري (٣٥٤٢) عن عُقبة بن الحارث رضي الله عنه قال: «صلَّى أبو بكر رضي الله عنه العصرَ، ثم خرج يَمشي، فرأى الحسنَ يلعبُ مع الصِّبيان، فحمله على عاتقه، وقال:

بأبي شبيهٌ بالنبي
لا شبيهٌ بعلي

وعليٌّ يضحك ؛ قال الحافظ في شرحه: «قوله: (بأبي): فيه حذفٌ تقديره أفديه بأبي». وقال أيضًا: «وفي الحديث فضلُ أبي بكر ومحبتُه لقرابةِ النبي ﷺ».

عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما:

روى البخاري في صحيحه (١٠١٠)، و(٣٧١٠) عن أنس رضي الله عنه: «أنَّ عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللَّهمَّ إنَّا كنَّا نتوسَّل إليك بنبيِّنا ﷺ فتسقينا، وإنَّا نتوسَّلُ إليك بعمِّ نبيِّنا فاسقنا، قال: فيُسقَوْن».

والمرادُ بتوسُّل عمر رضي الله عنه بالعباس رضي الله عنه التوسُّلُ بدعائه كما جاء مبينًا في بعض الروايات، وقد ذكرها الحافظ في شرح الحديث في كتاب الاستسقاء من فتح الباري.

واختيار عمر رضي الله عنه للعباس رضي الله عنه للتوسُّل بدعائه إنما هو لقرابتِه من رسول الله ﷺ، ولهذا قال رضي الله عنه في توسُّله: «وإنَّا نتوسَّل إليك بعمِّ نبيِّنا». ولم يقل: بالعباس. ومن المعلوم أنَّ عليًا رضي الله عنه أفضلُ من العباس، وهو من قرابة الرسول ﷺ، لكن العباس أقربُ، ولو كان النبيُّ ﷺ يُورَث عنه المال لكان العباس هو المقدَّم في ذلك؛ لقوله ﷺ: «ألحِقوا الفرائض بأهلها،فما أبقتِ الفرائضُ فلأولَى رجل ذكر»، أخرجه البخاري ومسلم، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قولُ النبيِّ ﷺ لعمر عن عمِّه العباس: «أمَا علِمتَ أنَّ عمَّ الرجلِ صِنْوُ أبيه».

وفي تفسير ابن كثير لآيات الشورى: قال عمر بن الخطاب للعباس رضي الله تعالى عنهما: «والله لإسلامُك يوم أسلمتَ كان أحبَّ إليَّ من إسلام الخطاب لو أسلَمَ، لأنَّ إسلامَك كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب». وهو عند ابن سعد في

الطبقات (٤/٢٢، ٣٠).

وفي كتاب اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (١/٤٤٦) لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أنَّ عمر بنَ الخطاب رضي الله عنه لَمَّا وضع ديوان العطاء كتب الناسَ على قَدْرِ أنسابِهم، فبدأ بأقربِهم فأقربهم نسبًا إلى رسول الله ﷺ، فلمَّا انقضت العربُ ذكر العَجَم، هكذا كان الديوان على عهد الخلفاء الراشدين، وسائر الخلفاء من بَنِي أُمية وولد العباس إلى أن تغيَّر الأمرُ بعد ذلك».

وقال أيضًا (١/٤٥٣): «وانظر إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين وضع الديوان، وقالوا له: يبدأ أميرُ المؤمنين بنفسه، فقال: لا، ولكن ضَعُوا عمر حيث وضعه الله، فبدأ ببيت رسول الله ﷺ، ثم من يليهم، حتى جاءت نوْبَتُه في بَنِي عديٍّ، وهم متأخرون عن أكثر بطون قريش».

وتقدَّم في فضائل أهل البيت من السُّنَّة حديث: «كلُّ سببٍ ونَسبٍ منقطعٌ يوم القيامة إلاَّ سَبَبي ونسبي»، وأنَّ هذا هو الذي دفع عمر رضي الله عنه إلى خِطَبة أم كلثوم بنت عليٍّ، وقد ذكر الألباني في السلسلة الصحيحة تحت رقم (٢٠٣٦) طرقَ هذا الحديث عن عمر رضي الله عنه.

ومن المعلوم أنَّ الخلفاء الراشدين الأربعة رضي الله عنهم هم أصهارٌ لرسول الله ﷺ، فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما حصل لهما زيادة الشَّرَف بزواج النبي ﷺ ببنتيهما: عائشة وحفصة، وعثمان وعلي رضي الله عنهما حصل لهما زيادة الشَّرَف بزواجهما ببنات رسول الله ﷺ، فتزوَّج عثمان رضي الله عنه رُقيَّة، وبعد موتها تزوَّج أختها أمَّ كلثوم، ولهذا يُقال له: ذو النُّورَين، وتزوَّج عليٌّ رضي الله عنه فاطمةَ رضي الله عنها.

وفي سير أعلام النبلاء للذهبي وتهذيب التهذيب لابن حجر في ترجمة العبَّاس: «كان العبَّاسُ إذا مرَّ بعمر أو بعثمان، وهما راكبان، نزلاَ حتى يُجاوِزهما إجلالاً لعمِّ رسول الله ﷺ».

عمر بن عبد العزيز رحمه الله:

في طبقات ابن سعد (٥/٣٣٣) و(٥/٣٨٧- ٣٨٨) بإسناده إلى فاطمة بنت علي بن أبي طالب أنَّ عمر بن عبد العزيز قال لها: «يا ابنة علي! والله ما على ظهر الأرض أهلُ بيت أحبُّ إليَّ منكم، ولأنتم أحبُّ إليَّ مِن أهل بيتي».

أبو بكر بن أبي شيبة رحمه الله:

في تهذيب الكمال للمزي في ترجمة علي بن الحسين، قال أبو بكر بن أبي شيبة رحمه الله: «أصحُّ الأسانيد كلها: الزهري، عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي».

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

قال ابن تيمية رحمه الله في العقيدة الواسطية: «ويُحبُّون (يعني أهل السُّنَّة والجماعة) أهلَ بيت رسول الله ﷺ ويتولَّوْنَهم، ويحفظون فيهم وصيَّة رسول الله ﷺ حيث قال يوم غدير خُمّ: (أُذكِّرُكم الله في أهل بيتي)، وقال أيضًا للعباس عمِّه- وقد اشتكى إليه أنَّ بعضَ قريش يجفو بَنِي هاشم، فقال: «والذي نفسي بيده، لا يؤمنون حتى يُحبوكم لله ولقرابتي»، وقال: «إن الله اصطفى من بني إسماعيل كِنانَةَ، واصطفى من كنانة قريشًا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني مِن بني هاشم»، ويتولَّون أزواجَ رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين، ويؤمنون بأنهن أزواجُه في الآخرة، خصوصًا خديجة رضي الله عنها، أمُّ أكثر أولاده، وأوَّل مَن آمن به وعاضده على أمره، وكان لها منه المنزلة العالية، والصدِّيقة بنت الصديق رضي الله عنها، التي قال فيها النبيُّ ﷺ: «فضلُ عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»، ويتبرءون من طريقة الروافض الذين يُبغضون الصحابة ويَسبونهم، وطريقةِ النواصب الذين يُؤذون أهلَ البيت بقول أو عمل».

وقال أيضًا في الوصية الكبرى كما في مجموع فتاواه (٣/٤٠٧- ٣٠٨): «وكذلك آل بيت رسول الله ﷺ لهم من الحقوق ما يجب رعايتُها، فإنَّ الله جعل لهم حقًّا في الخمس والفيء، وأمر بالصلاةِ عليهم مع الصلاةِ على رسول الله ﷺ، فقال لنا: «قولوا: اللهمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلَّيتَ على آل إبراهيم، إنَّك حميدٌ مجيدٌ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركتَ على آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ».

وآلُ محمدٍ هم الذين حرمت عليهم الصدقة، هكذا

قال الشافعيُّ وأحمد بنُ حنبل وغيرُهما، من العلماء رحمهم الله؛ فإنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ الصدقة لا تحلُّ لمحمدٍ ولا لآل محمد». وقد قال الله تعالى في كتابه: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾، وحرَّم الله عليهم الصدقة؛ لأنها أوساخُ الناس».

وقال أيضًا كما في مجموع فتاواه (٢٨/٤٩١): «وكذلك أهل بيت رسول اللَّه ﷺ تجبُ مَحبتهم وموالاتهم ورعايةُ حقِّهم».

الإمام ابن القيم رحمه الله:

قال ابن القيم في بيان أسباب قبول التأويل الفاسد: «السبب الثالث: أن يَعْزُوَ المتأولُ تأويله إلى جليل القدر، نبيلِ الذكر، مِن العقلاء، أو مِن آل بيت النبيِّ ﷺ ، أو مَن حصل له في الأمة ثناءٌ جميل ولسانُ صدق؛ ليُحليه بذلك في قلوب الجُهَّال، فإنَّه من شأن الناس تعظيمُ كلام مَن يَعظُمُ قدْرُه في نفوسهم، حتى إنَّهم ليقدِّمون كلامَه على كلام الله ورسوله، ويقولون: هو أعلمُ باللَّه منَّا!

وبهذا الطريق توصَّل الرافضةُ والباطنيةُ والإسماعيليةُ والنصيرية إلى تنفيق باطلهم وتأويلاتهم حين أضافوها إلى أهل بيت رسول الله ﷺ ، لِما علموا أنَّ المسلمين متفقون على محبتهم وتعظيمهم، فانتموا إليهم وأظهروا من محبتهم وإجلالهم وذكر مناقبهم ما خُيِّل إلى السامع أنَّهم أولياؤهم، ثم نفقوا باطلهم بنسبته إليهم.

فلا إله إلا الله! كم مِن زندقةٍ وإلحادٍ وبدعةٍ قد نفقت في الوجود بسبب ذلك، وهم بُرآءُ منها.

وإذا تأملت هذا السبب رأيته هو الغالب على أكثر النفوس، فليس معهم سوى إحسان الظنِّ بالقائل، بلا بُرهان من الله قادَهم إلى ذلك، وهذا ميراثٌ بالتعصيب من الذين عارضوا دين الرسل بما كان عليه الآباء والأسلاف، وهذا شأنُ كلِّ مقلِّدٍ لمن يعظمه فيما خالف فيه الحقَّ إلى يوم القيامة». مختصر الصواعق المرسلة (١/٩٠).

الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قال ابن كثير في تفسيره لآية الشورى بعد أن بيَّن أنَّ الصحيحَ تفسيرُها بأن المرادَ بـ ﴿ الْقُرْبَى ﴾ بطونُ قريش، كما جاء ذلك في تفسير ابن عباس للآية في صحيح البخاري، قال رحمه الله: «ولا نُنكرُ الوُصاةَ بأهل البيت والأمرَ بالإحسان إليهم واحترامِهم وإكرامِهم؛ فإنَّهم من ذرية طاهرةٍ، مِن أشرف بيتٍ وُجِد على وجه الأرض، فخرًا وحسبًا ونسبًا، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية، كما كان سلفهم، كالعباس وبنيه، وعليّ وأهل بيته وذريته، رضي الله عنهم أجمعين».

وبعد أن أورد أثرين عن أبي بكر رضي الله عنه وأثرًا عن عمر رضي الله عنه في توقير أهل البيت وبيان علوِّ مكانتهم، قال: «فحالُ الشيخين رضي الله عنهما هو الواجبُ على كلِّ أحدٍ أن يكون كذلك، ولهذا كانا أفضلَ المؤمنين بعد النبيين والمرسلين، رضي الله عنهما وعن سائر الصحابة أجمعين».

الحافظ ابن حجر رحمه الله:

قال ابن حجر في فتح الباري (٣/١١) في حديث في إسنادِه علي بن حسين، عن حسين بن علي، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، قال: «وهذا من أصحِّ الأسانيد، ومن أشرف التراجم الواردةِ فيمَن روى عن أبيه، عن جدِّه».

شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

وأمَّا شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فله ستَّةُ بنين وبنت واحدة، وهم عبد الله، وعلي، وحسن، وحسين، وإبراهيم، وعبد العزيز، وفاطمة، وكلهم بأسماء أهل البيت ما عدا عبد العزيز، فعبد الله وإبراهيم ابنا النبي ﷺ، والباقون علي وفاطمة وحسن وحسين: صهره وبنته ﷺ وسبطاه.

واختياره تسمية أولاده بأسماء هؤلاء يدلُّ على مَحبته لأهل بيت النبي ﷺ وتقديره لهم، وقد تكررت هذه الأسماء في أحفاده.

وفي ختام هذا الفصل أقول: لقد رزقني الله بنين وبنات، سميت باسم علي والحسن والحسين وفاطمة، وبأسماء سَبْعٍ من أمهات المؤمنين، والمسمَّى بأسمائهم جمعوا بين كونهم صحابة وقرابة.

والحمد لله الذي أنعم عليَّ بمحبة صحابة رسول الله ﷺ وأهل بيته، وأسأل الله أن يُديم عليَّ هذه النعمة، وأن يحفظ قلبي من الغِلِّ على أحدٍ منهم، ولساني من ذِكرهم بما لا ينبغي، ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

تحذير الداعية من القصص الواهية

« الحلقة الثانية والثلاثون »

بقلم / علي حشيش

« قصة السفياني والرئيس العراقي »

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت وانتشرت واغتر بها كثير من الناس حيث أوردها أحد الكُتّاب في كتابه «البيان النبوي بانتصار العراقيين على الروم (أمريكا وبريطانيا) والترك وتدمير إسرائيل وتحرير الأقصى» وكتب تحت اسمه: الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية، وطبعته الأولى رمضان ١٤١٨هـ/ يناير ١٩٩٨م وتأثر به صاحب كتاب «هرمجدون آخر بيان يا أمة الإسلام» حتى بوّب بابا بعنوان «صدام حسين السفياني .....» ص(٤٥) بل صرح باستناده عليه في ص(٥٢) هذا الكتاب طبعة شعبان ١٤٢٢هـ/ اكتوبر ٢٠٠١م ويحاول الدكتور في كتابه «البيان النبوي» تنزيل أحاديث الفتن على الزمان والمكان والأشخاص دون تحقيق لهذه الأحاديث والآثار التي حاولوا تنزيلها على العراق وعلى الواقع، وجاءت فتنة العدوان الأمريكي البريطاني على العراق وكانت المصيبة أليمة والفتنة تموج كموج البحر وكشفت الفتنة عن عدم صحة تنزيل أحاديث الفتن على الزمان والمكان والأشخاص خاصة «قصة السفياني الواهية التي يلبسون صدام حسين ثوبها زورا» مما كان له أثره السيئ في تشكيك الناس في السنَّة ـ وسنبين للقارئ الكريم عدم صحة هذه الآثار التي عنون لها بعنوان «البيان النبوي»

وبهذا يتبين أن هناك حالتين لعدم صحة التنزيل على الزمان والمكان والأشخاص:

الأولى: النص ليس صحيحا فيكون تنزيله على الزمان والمكان والأشخاص غير صحيح.

الثانية: النص صحيح ولكن تنزيله على الزمان والمكان والأشخاص غير صحيح وهناك حالة لصحة التنزيل على الزمان والمكان والأشخاص وفيها:

النص يكون صحيحا ويكون تنزيله على الزمان والمكان والأشخاص صحيحا ومثال هذه الحالة الأخيرة:

ما أخرجه مسلم ح (٢٩١٦) كتاب الفتن ح(٧٣) من حديث أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «تقتل عمارا الفئة الباغية».

قال الإمام النووي رحمه الله: وفيه معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ من أوجه: منها أن عمارًا يموت قتيلا، وأنه يقتله مسلمون، وأنهم بغاة، وأن الصحابة يقتتلون، وأنهم يكونون فرقتين؛ باغية وغيرها، وكل هذا قد وقع مثل فلق الصبح.

صلى الله وسلم على رسوله الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

«قصة السفياني»

قال الدكتور في كتابه «البيان النبوي» ص(٢٠):

للسفياني في السُّنة عهدان:

الأول عهد ما قبل خروجه وظهوره ويحدث فيه الحصار على بلاده التي يحكمها... كما يحدث في هذا العهد قتاله للروم في عمق الجزيرة أربعين يوما يخرج كل طرف منهما ولم يأخذ من الآخر شيئا وقد تم هذا عام ١٩٩١ ولا زال الحصار مستمرا.

العهد الثاني: هو عهد خروجه من وادي اليابس، وهو يقاتل الروم (أوربا ـ وأمريكا) والترك ويهزمهم شر هزيمة كما يقاتل على أبواب دمشق وما حولها لا يضره من خذ له».

ثم تجتاح جيوشه إسرائيل ويقاتل وحده على أبواب القدس وما حولها حتى يدخلها لا يضره الذين خذلوه من

الأشقاء.

فهو من أعظم شخصيات التاريخ الإسلامي، إذ يأتي في زمن ضعف الأمة وذلها فيعزها الله تعالى على يديه بتحرير الأقصى وتطهيره من رجس اليهود، ومن ثم جاء وصفه بأنه الجابر الذي يجبر الله تعالى على يديه قلوب أمة الإسلام المنكسرة كما جاء وصفه أيضا بأنه الأزهر لعلو نجمه إذ يصدق عليه وعلى جيشه الوصف بأنهم أولوا البأس الشديد الذين سيبعثهم الله على بني إسرائيل «ليسوؤا وجوههم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علو تتبيرا».

وهذا كله ينطبق على الرئيس العراقي صدام حسين وهو السفياني لأنه من نسل خالد بن يزيد بن أبي سفيان فهو من سلالة الخلفاء والملوك الأمويين الأمجاد الذين أعز الله تعالى بهم الإسلام وانتشر شرقا وغربا وجنوبا فلا غرابة أن يعز به الأمة في زمن ذلها وينهض بها من كبوتها ويسترد لها القدس بعد أن لم يمتنعوا عن أي ذل ينزل بهم كما تقول النصوص التي تتحدث عن عصرنا الراهن بكل دقة وهو أيضا الصخري لأن اسم أبي سفيان صخر بن حرب هذا في السنة الشريفة» انتهى كلام الدكتور.

التحقيق

تخريج وتحقيق النصوص التي اعتمد عليها الدكتور في هذه القصة يكشف عن القاعدة التي اعتمد عليها حيث قال في كتابه «البيان النبوي» ص(٢١) «السفياني وهو من نسل أبي سفيان، يوسع ملكه، فيحكم العراق والشام وفلسطين وأجزاء من الجزيرة وجاءت عنه مرويات كثيرة حتى أن الحافظ نعيم ابن حماد المتوفي سنة ٢٨٨هجرية وهو أحد شيوخ البخاري رحمهما الله قد خصص في كتابه «الفتن» أثني عشر بابا للسفياني وعشرة أبواب للمهدي أي أن الأحاديث عن السفياني كثيرة جدا ومتواترة المعنى تواترًا يقوي ضعفها» اهـ.

الرد

هذا الكلام الذي أورده الدكتور في كتابه فيه نظر:

١ - قال: «الحافظ نعيم بن حماد المتوفي سنة ٢٨٨ هجرية».

قلت: هذا، قول غير صحيح .

قال الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٤١٢/١٠): «مات سنة ثمان وعشرين ومائتين» وكذا في «التقريب» (٣٠٥/٢) حيث قال: «من العاشرة مات سنة ثمان وعشرين على الصحيح».

فائدة: قال الحافظ: «إن كان من التاسعة إلى آخر الطبقات فهم بعد المائتين».

٢ - قوله: «وهو أحد شيوخ البخاري».

قلت: هذا قول فيه نظر ولا يعرف ذلك إلا من له دراية بعلم الجرح والتعديل فالرواة عند البخاري نوعان: سواء من روى عنه أو من روى له.

أ - نوع روى له البخاري احتجاجًا.

ب - نوع لم يحتج به البخاري ولكن روى له استشهادًا (مقرونا).

والإمام البخاري لم يحتج بنعيم بن حماد، لذلك تجد أن أهل الفن يعبرون عن ذلك تعبيرا دقيقا حيث قال الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٤٠٩/١٠) «روى عنه البخاري مقرونا».

وكذلك الإمام الذهبي في «الميزان» (٩١٠٢/٢٦٧/٤) قال: «نُعَيم بن حماد الخزاعي [خ مقرونا، د، ت، ق].

ثم أورد الإمام الذهبي قول الأئمة فيه:

قال النسائي: ضعيف... قد كثر تفرده عن الأئمة فصار في حد من لا يحتج به.

قال الأزدي: «كان نعيم ممن يضع الحديث في تقوية السنة وحكايات مزورة في ثلب النعمان كلها كذب».

لذلك قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٥٩٦/١٠): «لا يجوز لأحد أن يحتج به» وقد تتبع الذهبي كثيرا من أوهامه في «السير».

قلت: فالقول نعيم بن حماد شيخ البخاري من غير هذا التقييد الذي بيناه عن علماء هذا الفن لا يصح لأن فيه تلبيسًا على الناس.

وهذا ما حدث بالفعل حيث أن صاحب كتاب هرمجدون أكثر من قوله: «هذه الرواية رواها نعيم بن حماد شيخ البخاري».

فعندما يرى القارئ كلمة «شيخ البخاري» فيتوهم الصحة في الرواية ولكن هيهات كما سنبين للقارئ الكريم.

وسئل عنه يحيى بن معين فقال: «ليس في الحديث بشيء» كذا في «التهذيب» (٤١١/١٠) ونقل الحافظ ابن حجر «أن عنده مناكير كثيرة لا يتابع عليها» قال النسائي فى «الضعفاء والمتروكين» رقم (٥٨٩): «ضعيف». ونقل في «التهذيب» (٤١١/١٠) عنه أنه قال في موضع آخر: «ليس بثقة».

٣ - قوله « في كتابه الفتن».

قلت: الدكتور لم يبين للقارئ حقيقة كتاب «الفتن لنُعَيم بن حماد خاصة وأن الدكتور قرنه بصفة شيخ البخاري كما هو ظاهر من قوله: «الحافظ نعيم بن حماد... أحد شيوخ البخاري قد خصص في كتابه «الفتن».

وقد اغتر به أيضا صاحب كتاب «هرمجدون آخر بيان يا أمة الإسلام» فقال في ص(٨٦): «فقد روى نعيم بن حماد في السفر الجليل «الفتن﴾ وكل هذا تلبيس على القارئ.

حقيقة كتاب «الفتن» لنعيم بن حماد

أ - قال الحافظ الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٦٠٩/١٠):

«لا يجوز لأحد أن يحتج به وقد صنف كتاب «الفتن» فأتى فيه بعجائب ومناكير».

ب - نقل الحافظ في «التهذيب» (٤١٢/١٠) عن مسلمة بن قاسم أنه قال في نعيم بن حماد: «كان صدوقا وهو كثير الخطأ وله أحاديث منكرة

في الملاحم انفرد بها».

قلت: وفي «تهذيب الكمال» (١٣٤/١٩) قال صالح بن محمد الأسدي: «عنده مناكير كثيرة لا يتابع عليها».

قلت: ومن كثر الخطأ في حديثه وكثرت مناكيره تنطبق عليه القاعدة التي قال فيها الحافظ العراقي في «فتح المغيث» ص(٧): «من كثر الخطأ في حديثه وفحش استحق الترك وإن كان عدلا».

(دعوى التواتر)

٤ - قوله: الحافظ. نعيم بن حماد.. في كتابه «الفتن» إثني عشر بابا للسفياني وعشرة أبواب للمهدي أي أن الأحاديث عن السفياني كثيرة جدا ومتواترة المعنى...».

قلت: وإن تعجب فعجب قول الدكتور: «إن الأحاديث عن السفياني كثيرة جدا ومتواترة المعنى» وبين أن السبب: وجود اثني عشر بابا للسفياني في كتاب «الفتن». لنعيم بن حماد.

قلت: بالبحث في هذه الأبواب الاثني عشر وجدتها تبدأ بالباب (٢٩) «صفة السفياني واسمه ونسبه» تبدأ بالخبر (٧٦٧) ط دار الكتب العلمية وتنتهي بالباب (٤٠) «بعثةُ الجيوش إلى المدينة وما يصنع فيها من القتل» ثم ينتهي الباب بالخبر (٨٨٦).

هذه الأخبار عددها (١٢٠) خبرًا (٦٨٦:٧٦٧).

هذه الأخبار كلها آثار إلا سبعة أحاديث.

وهذه الأحاديث السبعة لا يوجد بها إلا حديثان صُرِّح فيهما باسم السفياني والحديثان شديدا الضعف كما سنبين وهما برقم (٧٩٥)، ورقم (٨٤٢).

تحقيق الحديثين اللذين صرح فيهما باسم السفياني

قال نعيم بن حماد في كتابه (الفتن) ح(٧٩٥):

حدثنا رشدين عن بن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب قال: قال رسول الله ﷺ: «خروج السفياني بعد تسع وثلاثين».

قلت: الحديث (ضعيف جدا) وهو مسلسل بالعلل:

أ - رشدين بن سعد قال فيه النسائي: متروك وقال ابن معين ليس بشيء وقال الجوزجاني: عنده مناكير كثيرة كذا في «الميزان» (٢٧٨٠/٤٩/٢).

ب - ابن لهيعة ضعيف ومدلس أورده ابن حجر في «طبقات المدلسين» المرتبة الخامسة رقم (١٢) وقد عنعن.

جـ - يزيد بن أبي حبيب قال الحافظ في «التقريب» (٣٦٣/٢) كان يرسل من الخامسة قلت والخامسة هي الطبقة الصغرى من التابعين فالسند ما بعد التابعي سقط والحديث مرسل فالحديث واه بالسقط في الإسناد والطعن الشديد في الرواة.

الحديث الثاني:

قال نعيم بن حماد في كتابه «الفتن» رقم (٨٤٢): حدثنا أبو عمر عن ابن لهيعة عن عبد الوهاب بن حسين عن محمد بن ثابت عن أبيه عن الحارث عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا عبر السفياني الفرات وبلغ موضعا يقال له عاقر قوقا محا الله تعالى الإيمان من قلبه فيقتل بها إلى نهر يقال له الدجيل سبعين ألفًا متقلدين سيوفا محلاه...».

قلت: هذا حديث واهٍ وسند تالف مسلسل بالضعفاء والمتروكين والمجهولين، محمد بن ثابت قال البخاري فيه نظر، وقال ابن معين ليس بشيء كذا في «الميزان» (٧٢٩٤/٤٩٥/٣) والحارث بن عبد الله الأعور: قال ابن المديني كذاب، وقال ابن حبان: كان واهيا في الحديث كذا في «الميزان» (١٦٢٧/٤٣٥/١) وابن لهيعة ضعيف كما بيَّنا، وأبو عمر مجهول.

قلت: هذان هما الحديثان اللذان صرح فيهما باسم السفياني في الأبواب الاثني عشر وتبين أن الحديثين واهيان كل منهما يزيد الآخر وهنا على وهن أما عن الآثار الباقية فمعظمها واهية.

حديث ثالث:

قلت: وهناك حديث ثالث صرح فيه باسم السفياني ولكن خارج الأبواب الاثني عشر أخرجه نعيم بن حماد في كتابه «الفتن» باب رقم(٢) «تسمية الفتن التي هي كائنة وعددها من من وفاة رسول الله ﷺ إلى قيام الساعة».

قال نعيم بن حماد في كتابه «الفتن» رقم (٨٥) حدثنا يحيى بن سعيد العطار حدثنا حجاج رجل منا عن الوليد بن عياش قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال لنا رسول الله ﷺ: «أحذركم سبع فتن تكون بعدي: فتنة تقبل من المدينة، وفتنة بمكة، وفتنة تقبل من اليمن، وفتنة تقبل من الشام، وفتنة تقبل من المشرق، وفتنة من قلب المغرب وفتنة من بطن الشام وهي فتنة السفياني».

قال ابن مسعود: منكم من يدرك أولها، ومن هذه الأمة من يدرك آخرها. قال الوليد بن عياش فكانت فتنة المدينة من قبل طلحة والزبير، وفتنة مكة فتنة ابن الزبير، وفتنة اليمن من قبل نجدة (الحرورية) وفتنة الشام من قبل بني أمية، وفتنة المشرق من قبل هؤلاء» والحديث أخرجه الحاكم (٤٦٨/٤) من طريق نعيم بن حماد.

قال الذهبي في «التلخيص»: «هذا من أوابد نعيم» اهـ.

قال أبو الوفا الطرابلسي في «الكشف الحثيث» معلقا على قول الإمام الذهبي: «فهذا يقتضي أنه من وضعه» اهـ.

قلت: من هذا يتبين أن قول الدكتور «قد خصص نعيم بن حماد في كتابه «الفتن» اثني عشر بابا للسفياني أي أن الأحاديث عن السفياني كثيرة جدا ومتواترة المعنى تواترًا يقوي ضعفها» قول لا أساس له من الصحة كما بيَّنا آنفا فما هما إلا حديثان واهيان وجئت بثالث هو من أوابد نعيم أي من غرائبه وعجائبه، فكما بينا فنعيم كثير الخطأ وله أحاديث في الملاحم

انفرد بها.

وتصبح دعوي التواتر باطلة ولا يصح القول بأن الأحاديث عن السفياني كثيرة جدا ومتواترة، بل هي قليلة جداً وواهية فلا تغتر بالآثار التالفة.

ولذلك نجد أن الكتاني في كتابه «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» لم يذكر السفياني.

«دعوى أخرى حول قصة السفياني»

قال الدكتور في كتابه «البيان النبوي» ص(٢٧).

مطابقة أخبار السفياني في السُّنَّة... وجميع هذه النصوص متطابقة على أخبار وأحوال رئيس العراقيين المعاصرين».

التطابق الأول:

قال الدكتور في كتابه ص(٣٠): «ما ورد عن صفات السفياني مطابق أيضا:

أ - يميل لونه للصفرة مع بياض
ب - ضخم الهامة.
جـ - جعد الشعر.
د - دقيق الساعدين والساقين.
هـ - بوجهه آثار جدري.
ز - بعينه نكتة بيضاء.
ح - طويل العنق.
ط - به أثر العبادة» اهـ.

قلت: ولقد اغتر به صاحب كتاب «هرمجدون آخر بيان يا أمة الإسلام» فقلده حيث قال في كتابه ص(٥٣) تحت عنوان: «صفات السفياني الخلقية في صدام» فمن الصفات الواردة في الآثار والمشتركة بين «السفياني» و«صدام» أنه:

أ - ضخم الهامة (كبير الرأس وهو كذلك فعلا).
ب - بوجهه آثار جدري (نكت أو ندوب في وجهه).
جـ - بعينه نكتة بيضاء وكسل قليل.
د - يميل لونه إلى البياض مع الصفرة.
هـ - جعد الشعر.
و - دقيق الساعدين والساقين وأخبرني من رآه أن ساعديه دقيقان مفتولان» اهـ.

«تحقيق الآثار حول صفة السفياني»

قال نعيم بن حماد في كتابه «الفتن» ح(٧٨٠):

حدثنا أبو عمر عن ابن لهيعة عن عبد الوهاب بن حسين عن محمد بن ثابت عن أبيه عن الحارث عن عبد الله قال يخرج رجل من ولد أبي سفيان في الوادي اليابس في رايات حمر، دقيق الساعدين والساقين، طويل العنق، شديد الصفرة به أثر العبادة» اهـ.

قلت: هذا الأثر أوردته بسنده لأن الترقيم يختلف باختلاف الطبعات فهو في طبعة دار الكتب العلمية برقم (٧٨٠)، والدكتور في كتابه «البيان النبوي» ص(٣٠) قال: «انظر حديث رقم (٨١٥) في الفتن للحافظ نعيم» وأورده مقلدا صاحب كتاب «هرمجدون - آخر بيان يا أمة الإسلام» رقم(٨١٥) في صفحة (٥٤).

قلت: ومهما اختلفت الطبعات فالمهم السند والمتن.

وإن تعجب فعجب كيف يبني الدكتور كلامه في أمور ليست هينة على أخبار بغير تحقيق ثم ينزلها على شخص بعينه وقلده في ذلك صاحب كتاب «هرمجدون».

التحقيق

هذا الخبر باطل واهٍ قال عنه الدكتور إنه حديث حيث قال: انظر حديث رقم (٨١٥) وهو ليس بحديث كما هو ثابت عند علماء أصول الحديث حيث إنه ليس من قول النبي ﷺ فيكون مرفوعا ولا من قول صحابي فيكون موقوفا بل هو من قول تابعي فيكون مقطوعا.

وفوقٍ أنه مقطوع فالحارث الأعور كذاب، كذبه شيخ البخاري الإمام على بن المديني كما بينا آنفا، ومحمد بن ثابت ليس بشيء متروك، وابن لهيعة ضعيف، وأبو عمر مجهول كما بينا آنفا.

قلت: والذي يقارن بين هذا الأثر أثر وصف السفياني وبين حديث عبور السفياني الفرات والذي حققناه آنفا في الحديث الثاني يجد العجب حيث يتفقان في السند إلا أن الأثر مقطوع والحديث مرفوع والسند في الحالتين تالف.

ولقد جاء الدكتور بخبر أخرجه نعيم بن حماد وفيه نسب السفياني وبقية صفاته وأخذ يطبقها على الرئيس العراقي في كتابه «البيان النبوي بانتصار العراقيين على الروم (أمريكا وبريطانيا والترك وتدمير إسرائيل وتحرير الأقصى» ص(٣٠. ٣١) وسأبين في العدد القادم إن شاء الله عدم صحة قصة نسب السفياني وتطبيقها على الرئيس العراقي.

ففي هذا العدد وفقنا الله وحده بالبحوث العلمية الحديثية إلى دحض دعوى التواتر بل ودحض دعوى الصحة للأحاديث التي صرحت باسم السفياني في الأبواب الاثنى عشر وأدحضت الأثر الذي جاءت به صفات السفياني وتطبيقها على الرئيس العراقي وبينت حقيقة نعيم بن حماد ورتبته بالنسبة لشيوخ البخاري حتى لا يغتر القارئ بما يكتبه المؤلف: «نعيم بن حماد شيخ البخاري»، وبينت حقيقة كتابه «الفتن» كل هذا حتى يتبين للقارئ الكريم حقيقة قصة السفياني الهازم للروم (أمريكا وبريطانيا) المدمر لإسرائيل المحرر للأقصى ثم تطبيق صفات ونسب السفياني على شخص بعينه وهذا أمر خطير جدًا يجعل علو الأمة متعلق بشخص معين فإذا هلك وهذه حقيقة كما في قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨]، ترى الذين غرتهم قصة السفياني في هزيمة نفسية أورثتهم الوهن والحزن ولكن الله سبحانه وتعالى جعل علو الأمة في إيمانها حيث قال سبحانه: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩].

من أجل هذا سنبين حقيقة قصة السفياني وسنواصل - إن شاء الله - ذلك والله وحده من وراء القصد.

مدارس أهلية بالسعودية

بحاجة إلى الوظائف التالية

- مديري مدارس
- وكلاء مدارس
- موجهي مواد
- معلمين (جميع التخصصات ولجميع المراحل)
- أخصائي اجتماعي نفسي
- أخصائي صعوبات تعليم
- أخصائي تقنيات تعليم
- أمناء مكتبات

لا تقل الخبرة عن خمس سنوات في مجال الوظيفة المطلوبة.

ترسل السيرة الذاتية مرفقًا بها صورة شخصية حديثة والعنوان ورقم الهاتف وأقرب رقم هاتف آخر على

صندوق بريد ٣٥٠٩٩ الدمام الرمز البريدي ٣١٤٨٨،

تكتب الوظيفة والتخصص على المظروف من الخارج.

دعوة لنشر التوحيد عبر مجلة التوحيد

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

إن وسائل الإعلام في كثير من البلدان في غالب الأحيان صارت عوامل هدم للمجتمعات. فكثير من المفاهيم الشرعية والمعرفية استطاعت وسائل الإعلام تزييفها وتغييرها، ومن هنا سارعت دول الكفر والمذاهب الهدامة إلى السيطرة على زمام تلك الوسائل لتبث من خلالها سمومها التي أشربتها كثير من القلوب فسقطت صرعى وهلكى، أو مرضى في طريق سيرها إلى الله والدار الآخرة، وكان من نتائج ذلك محاولات هدم أركان العقيدة ومحاربة الفضيلة ونشر الرذيلة والفاحشة.

فعبدت القبور وذبحت القرابين لغير الله عز وجل، وانتشر السحر والسحرة واتُبعَت الشهوات وكثرت المنكرات، لكن سرعان ما تنبه العقلاء من المسلمين للخطر الداهم فسارعوا إلى معالجة المرضى وإنقاذ الهلكى، فكان من جهودهم هذه المجلة الغراء - مجلة التوحيد - منبر الدعوة السلفية بمصر، والتي عملت على نشر التوحيد منذ أكثر من ثلاثين عاماً.

ومن هذا المنطلق ندعوكم أيها الأخوة - حفظكم الله - إلى نشر التوحيد عبر مجلة التوحيد بتوزيعها بالداخل ؛ السنة الكاملة بـ ١٥ ريالاً أو ١٥ جنيهاً مصرياً فقط قيمة اشتراك يُهدى إلى معلم أو واعظ يؤثر في مجتمعه، و ٢٠ دولاراً قيمة اشتراك خارجي يُهدى إلى من يحتاج إلى من ينير له الطريق . فلا تحرم نفسك يا أخي من السُّنة الحسنة والأجر الجزيل.

قال ﷺ : « من دعا إلى هُدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ».

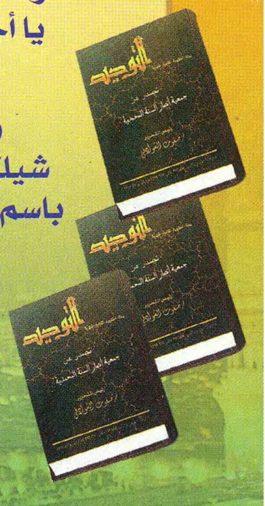

ويمكن المشاركة بدعم المجلة بعمل حوالة بنكية أو سويفت أو تلكس أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة .

وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه.

أسرة مجلة التوحيد